منارات
manarat

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير
فخري كريم

ملحق ثقافي اسبوعي يصدر عن جريدة المدى

العدد (1630) السنة السابعة - السبت (17) تشرين الاول 2009

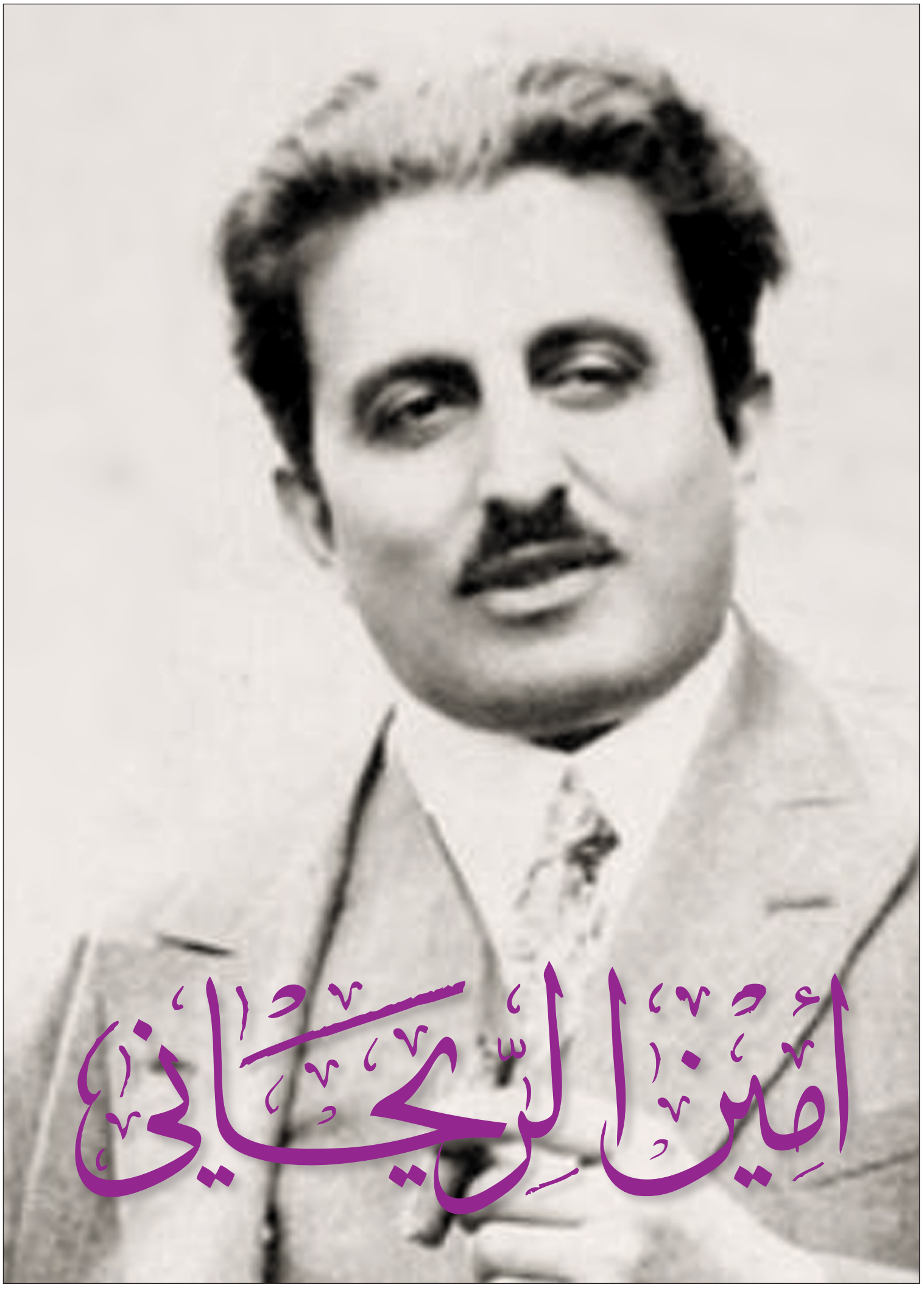

2
امين الريحاني في ذكرى رحيله

6
قلب العراق.. بين الشبيبي والريحاني

10
الريحاني في النجف

هي دمامل الارض وانفس تحتها هي دمامل الحياة
وغدا تصير ابراجك في انفاقك ويدفن مجدك الكاذب تحت انهارك،
فتبكيك عندئذ نينوى وتترحم عليك بابل.

الريحاني بملابس عربية

امين الريحاني في ذكرى رحيله

رائد الشعر المنثور وادب الرحلات لم تنجب الامة العربية بعده فيلسوفا ورحالة ومؤرخا وكاتبا ساخرا بمستواه

حارث طه الراوي

واذا كان الريحاني فاتحا ورائدا في الشعر المنثور قبل جبران خليل جبران تشهد على ذلك ريحانياته التي عطرت الادب العربي منذ بداية القرن العشرين فانه والحق يقال يعد رائدا بادب الرحلات في ادبنا العربي وماكتبه (ملوك العرب) وقلب لبنان والمغرب الاقصى الا الشاهد القوي على هذه الناحية التي تفرد بها امين الريحاني بين الرحالين العرب في كل العصور فهو في هذه الكتب الثرية بالوثائق والغنية بالاسلوب التصويري الدقيق الساخر احيانا والمشتفق احيانا والداعي الى تجاوز التخلف في كل الاحيان بصراحة اصحاب المواقف الثابتة من الرجال الرجال..

وكنت اتصور ان الرجل قد ربح ماديا من كتابه الرائع الفريد (ملوك العرب) الى ان قرأت رسالته التي ارسلها الى صديقه المرحوم احمد زكي باشا سنة ١٩٢٥ التي جاء فيها:

اما ملوك العرب،
ياصاحب الجلالة
الحقيقية والعظمة العلمية،
فالكتب لاتهمهم، وقلما يهمهم عاش المؤلف ام مات.

على اني سمعت فيصلا الاول بن الحسين غير راض عما كتبت تخليدا لذكراه، وان الكتاب ممنوع في العراق، وهو ممنوع كذلك في لحج ومرغوب عنه في اليمن، ماذا يهمني وقد استهوى صديقي زكي باشا واستغواه.

اما نظرة الريحاني الى الاستعمار فقد مرت بمرحلتين بالنسبة الى الاستعمار الفرنسي في المرحلة الاولى كان يقول:

وغدا يحارب الجنود الفرنسيون في بلادنا ليحرروها، غدا يضحون حياتهم من اجل الحرية حريتنا!!

وكان يجمل بالريحاني ان يكون بعيد النظر فيرى بعين بصيرته ما يستدفعه وطنه المبتلى بالمحتل العثماني (للمحرر) الفرنسي المحتل الجائر الجديد، فالاجنبي لا يضحي بحياته من اجل حرية غيره لوجه الله من غير ثمن، وما الثمن الا انتقال الحرية والاستقلال من بين مخالب الاجنبي المحتل السلف الى مخالب الاجنبي المحتل الخلف و..

ولما ادرك الريحاني هذه الحقيقة المرة بكل ابعادها دفعه ضميره الوطني الى النضال ضد المحتلين الفرنسيين الجدد وقال:

هوذا الانتداب وربقته امام عيوننا وغدا تصير في رقاب ابنائنا.. هوذا الانتداب ونيره الثقيل علينا كلنا اجمعين على تدمر ودمشق وعلى الارز وصنين فهل نظل ابدا منقسمين متنابذين متخاذلين؟ وهل نداوي ادواءنا القومية بالبكاء والانين؟ وهل يجب علينا ان نسهل لابنائنا في الاقل سبل الجهاد لانقاذ البلاد وتحريرها من الاستعباد؟ ولسنا وحدنا في هذه المحنة الكبرى لسنا وحدنا سائرين الى الاستعباد فالمصري والفلسطيني والعراقي يشكون ما نشكوه ويئنون مما نئن.

وكان خطاب (الريحاني) بين عهدين اعنف خطاب للريحاني ضد الانتداب الفرنسي وكان قد القاه سنة ١٩٣٣ ومما قاله فيه:

(..من عهد عبدالحميد الى عهد الفرنسيين المجيد؟.. من عهد عبدالحميد الى عهد ده مارتل السعيد فهل تقدمنا؟.

كان عندنا حانات وخانات، فصار عندنا مرابع و(ارتيستات) كان عندنا كازينو واحد للقمار (بصوفر) فصار عندنا كازينات وحلقات سباق للخيل والبنات، كان عندنا حمير وبغال وعربات موفقة في اشغالها فصار عندنا حمير وبغال لاعمل لها ولا امل وخيل تستخدم لابتزاز اموال الناس.

وعلى اثر هذا الخطاب الناري نفي الى خارج لبنان فآثر ان يكون (العراق) منفاه..

ولما كنت امتلك بعض الوثائق الادبية والتاريخية الهامة عن هذا النفي فسأكتب مقالا خاصا عن تفاصيله المؤلمة والمشرفة لاهز بها القارئ العربي..

اما بالنسبة للاستعمار البريطاني فلم يكن موقفه منه بهذه الصلابة حتى ان ملاينته للانكليز فتحت باب الاقاويل والتأويلات عليه.

وعلى اي حالة فان الرجل اظهر سخطه الملتهب على كل استعمار بلا استثناء في وصيته الرائعة التي كتبها في اوائل سبتمبر سنة ١٩٣١ والتي جاء فيها:

١-ان حق الشعوب في تقرير مصيرها لحق مقدس فاوصيكم بالجهاد في سبيله اينما كان.

٢-ان الامة الصغيرة وهي على حق لاعظم من الامة الكبيرة وهي على باطل.

٣-الامة القوية الحرة لاتستحق حريتها وقوتها مازال في العالم امم مستضعفة مقيدة.

٤-لاتبلغ الانسانية اعلى درجات الرقي مازال نصفها مستعبدا، واعلموا ان الاستعباد الاقتصادي في البلدان المستقلة الغنية هو شر من الاستعبادين السياسي والاقتصادي في البلاد التي لاتزال تحت سيطرة الاجانب، اوصيكم بمحاربة الاستعباد اينما كان وكيفما كان.

٥-الانتداب كما حدده وودرو ولسون الاميركي الخالد هو معقول مقبول ولكنه عمليا مكروه مرذول، انه اخبث من الاستعمار فاوصيكم بجهاده حتى ينتهي.

وها نحن بعد مضي ٦٤ سنة على رحيل الريحاني عن هذا العالم نتساءل: ماذا بقي من (الريحاني) وماذا سيبقى للمستقبل منه؟ والجواب الصحيح، من الملم الماما شاملا ودقيقا باثار الرجل بانه قد بقي كله وسيبقى اكثره للاجيال لان ادبه مرتبط بالحاضر وبالمستقبل وسيبقى بمواهبه العظيمة وصراحته النادرة اعظم رحّالة عند العرب وليس هذا بقليل.

مجلة الحوادث اللبنانية ٢٠٠٤

ولما ادرك الريحاني هذه الحقيقة المرة بكل ابعادها دفعه ضميره الوطني الى النضال ضد المحتلين الفرنسيين الجدد

في امريكا ١٩١١

في بداية سنة ١٩٣٤ دعت جمعية الحياة الادبية، في بيروت امين الريحاني ليبدي في خطاب رأيه في حالة الوطن فألقى خطابا ناريا بعنوان بين عهدين اي بين العهد العثماني البائد والعهد الفرنسي الذي كان قائما فكان هجومه على العهد الانتدابي الاحتلالي الفرنسي جريئا بصراحته المدوية الكاسحة التي فضلت عليه العهد العثماني السيئ الصيت من باب اهون الشرين،

كيف نفي الريحاني من لبنان الى العراق؟

مجلة الحوادث

ملف عن الريحاني

فقامت قيامة السلطة الفرنسية المسيطرة وكان من نتيجة غليان استيائها من خطاب الريحاني ان تآمر بنفيه الى العراق في عهد المغفور له الملك الشهيد غازي الاول. ولنترك صديقته الوفية اديبة لبنان الكبيرة السيدة (سلمى صائغ) رحمها الله تروي لنا حكاية نفي الريحاني كما شاهدتها وعايشتها وذلك في مقالها الوثائقي الرائع (الريحاني الكبير) المنشور في ص ٢٣٦- ٢٦٠ من كتابها الخالد (صور وذكريات) ط٢ بيروت، دار الحضارة سنة ١٩٦٤، وقالت:

كانت الساعة تدق العاشرة والبرد ينخر في العظام عندما طرق زوج ابنتي الاستاذ صلاح لبكي، باب داري، قال:

اعتذر عن ازعاجك في مثل هذه الساعة المتأخرة ولكنني رأيت واجهة البيت مضاءة فحسبت انك لا تزالين ساهرة، جئت لاقول لك ان في ادارة الامن العام قرارا يقضي بابعاد صديقنا الريحاني الى ماوراء الحدود لابد من اطلاعه على الواقع حتى لايجيئه الامر مفاجأة..

-وماهي حيثيات القرار؟.

-هي اهاجة الرأي العام وتكدير الامن بسبب خطابه الاخير.

وتواصل الاديبة سلمى صائغ روايتها قائلة:

عند الساعة السادسة من صباح اليوم التالي كنت في طريقي الى بيت السيد يوسف صادر زوج السيدة اديل شقيقة امين الى ان تقول:

قصصت عليها الواقع فامتقع خداها ثم تجلدت وقالت بهدوء.

-كنت انتظر هذا...

ونادت (امين) فجاء وعلى كتفيه عباءة بنية من صوف الجمل قال: ياهلا، ياهلا، بارك الله فيك يا (خويتي) سلمى تعالي نشرب قهوة الصباح، ما احسن هذا النهار، وتواصل سلمى صايغ روايتها قائلة..

رافقته من البهو الكبير الى ردهة الاكل وتركت السيدة اديل تنبئه بخبر ذلك القرار ظل هادئا يبتسم ثم قال: حسنا وقدم لي كرسيا وجلس في الجهة المقابلة..

كانت ردهة الاكل منفصلة عن البهو الكبير بابواب بلورية يقابلها ابواب اخرى تؤدي الى شرفة فسيحة تشبه مايسمونه (حدائق الشتاء) وفي احد الجدارين باب يقود الى دهليز متصل بدائرة المطبخ ينتهي بباب على الدرج هو غير باب البهو الرسمي وفجأة دخل رجلان غريبان دون اي اذن، او انذار، وقف الاول في الباب المؤدي الى الدهليز بينما الثاني يدخل من ناحية البهو الكبير.

-حضرتكم امين بك؟

-انا لست بك انا امين..

لن انسى وجهه في تلك الساعة، ذلك الوجه الاسمر، والرأس الوحيد التركيب، والانف القوي، والشعر السليم يتماوج فيه سلم الالوان الفضية والرمادية وتينك العينين البعيدتين العميقتين حتى ينكشف للناظر اليهما وحي اللانهاية.

وتجهم وجهه واندفع الدم الى جبينه وعنقه واذنيه فازداد سمرة.

-تفضلوا اجلسوا..

وجلس احد الرجلين على كرسي كبير في الزاوية، واخذ يطوي اطراف قبعته بحركة عصبية، اما الثاني فضل واقفا مرتبكا واخيرا قال وهو يزن الكلمات والحروف.

-ياستاذ امين اوفدتنا ادارة الامن العام اليك حتى تشرف وترافقنا الى مكتب السيد بوشد، لاتؤاخذنا يا استاذ يعزّ علينا والله، ولكننا مأمورون. اعذرنا اننا خجلون..

قال امين:

-نعم الحق معكم انكم عبيد مأمورون والسيد بوشد يثبت اليوم ما قلته في خطابي، ان الاقلام مقيدة والافواه مكممة، اعذروني، نسيت الضيافة ياخويتي سلمى اسكبي القهوة للضيوف الى ان تقول:

وجلس الرجلان مأخوذين بذلك الجلال، جلال الحكيم، والعالم والمصلح والاديب المتعبد الى الادب ابان الفتوة والشباب والكهولة..

كانا مثل كل من نعم بالدخول الى مجلس الامين، تحت سحر النبوغ والامارة، امارة الخلق العظيم الذي وهبه الله هذا الرجل الوحيد الاوحد فظهر في نظراته التي حوت وداعة النساك وطهارة الاطفال.

لم تتنازل السلطات الفرنسية عن قرارها الحاسم بابعاد الريحاني ونفيه الى العراق ولم تلغ مرسومها الجائر رغم توسط نخبة خيرة من رجال الفكر في لبنان لالغاء مرسوم النفي ولكنها اضطرت الى تخفيف النفي الى المعتمد السامي في بغداد ان يؤشر على جواز سفر الريحاني بما يسمح له بالرجوع الى لبنان ساعة يشاء، ولكن الريحاني ظل في بغداد معززا مكرما اكثر من اسبوعين ليجمع مادة كتابه المثير (قلب العراق)..

ولابد لكاتب هذه السطور وهو يذكر للقارئ العربي الكريم هذه الحادثة التاريخية عن فيلسوف الفريكة المغفور له امين الريحاني كما وثقتها المغفور لها السيدة سلمى صائغ من ان يشير الى موقفين مشرفين في هذه المحنة التي تعرض لها مفكرنا الحر الاول: اقتراح سيدة لبنانية القيام بمظاهرة كبرى لمرافقة الريحاني العظيم الى الحدود في ثلاثمائة سيارة.. والثاني لاخي وصديقي الوفي الشاعر الكبير المغفور له صلاح لبكي الذي كتب مقالا ناريا نشرته له احدى الصحف اللبنانية هزّ فيه النخوة العربية في كل مكان تناقلته الصحف العربي ومنها جريدة (الطريق) البغدادية، السنة الاولى- العدد ٢٥٢ الصادر بتاريخ ٢٥ كانون الثاني سنة ١٩٣٤ الذي نسيته بين اوراقي المبعثرة في بغداد، فهل ينجدني اخي الناقد اللبناني الكبير الاستاذ جهاد فاضل بالبحث عنه في الصحافة اللبنانية لشهر كانون الثاني ١٩٣٤ لينشره برمته في (الحوادث) الغراء لاكون له من الشاكرين الممتنين..

امين الريحاني

حياته..اعماله..آثاره

الخطبة التي القاها رافائيل بطي في الحفلة التكريمية الاولى التي اقيمت للاستاذ الريحاني في دار المعلمين ببغداد

رفائيل بطي

اخواني الكرام، اخي المحترم

لقد سبقتم كل احد في هذه العاصمة المجيدة، الى تكريم امين الريحاني، فحق لكم ان تفخروا بالسبق في هذا الميدان، وحبذا لو حضر الحفلة طلبة المدارس، ليشهدوا كيف يحترم العلم ويكرم النبوغ، ويحتفل بالعاملين من ابناء الامة.

قلت اسم امين الريحاني مجردا عن الالقاب والنعوت ولا يستغربن احد مني ذلك، لاني لا ازال اتذكر قول الرجل المحتفل به المأثور في الالقاب: الالقاب هي شهادة من كبير يعترف لك بها انك اصغر منه، وكم من الناس الذين يرضون بمثل هذه الشهادة. فلا ريب ان حضرته وهو الموفق اقواله على اعماله لايرضى بشهادة فتى مثلي. موضوعي، نظرة اجمالية في حياة الامين

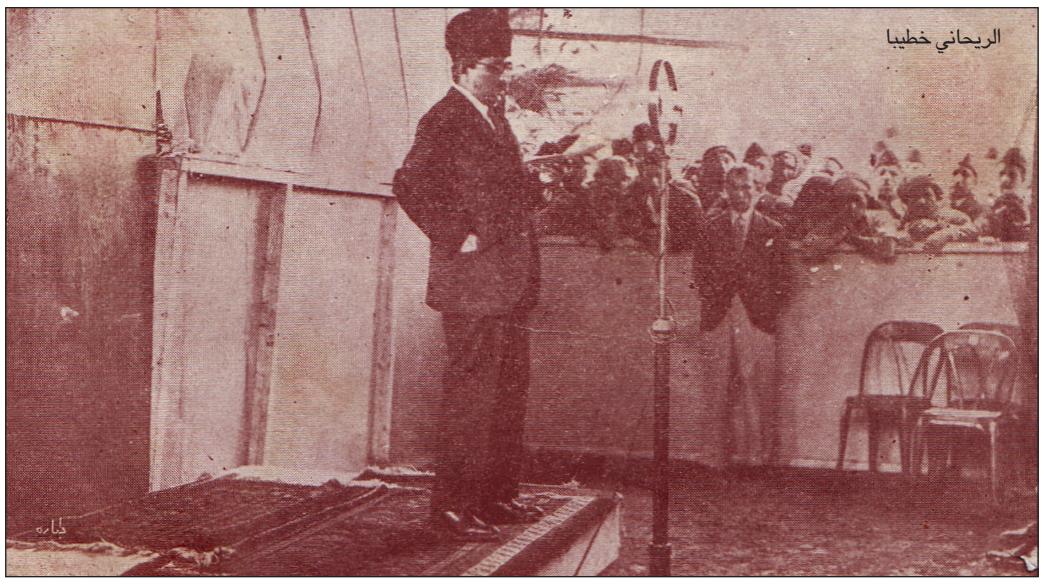

ولد امين الريحاني في الرابع والعشرين من تشرين الثاني سنة ١٨٧٦م في قرية الفريكة من قرى لبنان التي نسب اليها، فعرف بفيلسوف الفريكة، اما ابوه فارس الريحاني فقد كان يشتغل بصنع الحرير، ورغب اخيرا في المهاجرة من لبنان الى اميركا، فارسل مامه اخاه وابنه الاكبر، (امينا) سنة ١٨٨٨م وتبعهما الى العالم الجديد بعد سنة وكان عمر الامين لما وصل نيويورك اثنتي عشرة سنة، واول امر قام به بعد وصوله ارض كولمبس ببضعة اشهر انه ولج احدى المدارس في ضواحي نيويورك، حيث تعلم مبادئ اللغة الانكليزية، ولما كان ابوه وعمه قد اخذا في معاطاة الاشغال التجارية هناك، وشعرا بحاجة الى مساعدة يحسن القراءة والكتابة بالانكليزية، اخرجا المترجم من المدرسة وجعلاه مدرا للكتابة والحساب في محلهما، فظل الامين يشتغل في هذا العمل مايزيد على الثلاث سنوات.

غير ان القريحة التي نطرت على عشق كل ماهو فني جميل، والنفس المطبوعة على حب الحياة الفكرية، لاتركنان الى اليومية والاستاذ والداخل والخارج والدولارات والقروش وكتابة الرسائل التجارية ومافيها من الاسلوب الناشف، لذلك رأينا الفتى الريحاني يسترق اوقات راحته آناء الليل واطراف النهار، ليطالع آثار كبار ادباء الغرب وشعرائه، وفي مقدمتهم (شكسبير) و(فيكتور هوغو) حتى كانت سنة ١٨٩٥م فلم يطق بعدها الصبر على تعاطي عمل لم يخلف له فمال الى فن التمثيل وانضم الى الجوق الذي الفه (هنري جويت) لكنه مالبث ان ترك هذا الفن الجميل وعاد الى احضان ابيه، لاليرجع الى معاونته في عمله بل لتنظيم حياته الدراسية والانصراف الى تعلم صناعة من الصنائع الراقية، فاتفق الرأي على ان يدرس الحقوق، لكن من اين لهذا الفتى العصامي الذي لم يتابع دروسه بطريقة منظمة مقدرة علمية نؤهله للدخول في مدرسة عالية.

فرأى المترجم ان ينقطع الى مدرسة ليلية يدرس فيها مايحتاجه لاجتياز امتحان الدخول في كلية الحقق، ولبث سنة كاملة يجد في هذه السبيل، وبعد ان اخذ للامر اهبته دخل سنة ١٨٩٨م كلية الحقوق النيويوركية، وفي هذا الحين نزع قلبه الى الكتابة والنظم والخطابة، فاخذ يكتب المقالات وينظم القصائد ويلقي الخطب واكثرها باللغة الانكليزية، هذا فوق اكبابه على دروسه الحقوقية بنشاط كلي، ماذهب بصحته وسبب له ضعفا في جسمه، فاضطر على مغادرة المدرسة بعد ان انهى فيها السنة الاولى، واشار عليه الاطباء بالعودة الى لبنان للاستشفاء بعليل نسيمه ونمير مائه.

وعندي ان الريحاني لم يمرض جسمه فقط، بل تألمت روحه كذلك في ديار غربتها، تلك الروح التي استمدت وحيها الشعري من سماء لبنان السحرية، وكونت عاطفتها زرقة امواج المتوسط المهيب واتمت فلسفتها قمم الجبال المكالة بالثلوج وبطون الوديان المنمقة بالخمائل، وظلال الاشجار وافياء الكروم.

رجع الفتى اللبناني الى الفريكة في الجبل، وفي فكره روعة مما شاهده في بلاد العمل والجد والحرية، ودماغه متشبع بالافكار الناضجة والمعاني السامية التي اكتسبها من انهماكه في مطالعة الاداب الغربية، ومخالطة الطبقة الراقية هناك.

واخذ الامين بعد رجوعه الى مسقط رأسه يعلم اللغة الانكليزية في مدرسة اكليريكية ويتعلم لغته الوطنية العربية فعلق فؤاده بمطالعة آثار كبار شعراء العرب لاسيما شعر (ابي العلا المعري) الذي يسميه استاذنا (معروف الرصافي) شاعر البشر، وان مادعا الريحاني الى اختيار (المعري) دون غيره، قرب نفس هذا الشاعر الفيلسوف من نفس ادباء الغرب وشعرائهم. وعاد بعد اكثر من سنة الى نيويورك مصمما على نقل (رباعيات ابي العلاء) الى الانكليزية وقد قام بنقلها هناك شعرا انكليزيا وهو يتعاطى بعض الاعمال، وطبعت للمرة الاولى سنة ١٩٠٣ ثم اشتغل محررا في احدى الجرائد الاسبوعية العربية في نيويورك، هكذا بدأ فضله ينتشر في عالم الادب في الشرق والغرب، وقد اكبرت الصحف الانكليزية عمل الريحاني بنقله (رباعيات المعري) الى الشعر الانكليزي بثوب من البلاغة قشيب رائع، حتى قال بعض ادباء الغرب في هذا الصدد ان هناك ابياتا جاءت ترجمتها الانكليزية تحلل نفسية المعري افضل من تحليل الابيات العربية لها، فما كان من نادي الثريا الاميركي الا ان اقام له حفلة تكريمية توجه فيها رئيس النادي (باكليل الغار) وقد خطب الريحاني في تلك الحفلة خطبة عرفت القوم معنى النبوغ العربي في قديم الازمان وحديثها.

وما لبث ان عاودته ذكرى لبنان وعيونه الثرة، وهوائه البليل، وكل ماهو بديع ورقيق، في ذلك الجبل الشامخ، فاهتاجه الشوق الى مرابع الوطن، ومهد الحداثة كما انه احس بحاجة الى الانقطاع مدة من الزمن عن هذه الحياة الصاخبة المضطربة، ورغب في الزهد والعزلة، وليس كوادي الفريكة موطن هادئ للانفراد والتنسك، فعاد الى مشرق الشمس وظل خمس سنوات منقطعا في وادي الفريكة يدرس على الطبيعة الدروس التي عجز عن تلقينه اياها اكابر فلاسفة اوروبا واميركا، منصتا لخرير الجداول وحفيف الاوراق، مستفيدا منها فائدة لم يجدها في اقوال اساطين المنابر وملوك الكلام، في الشرق والغرب، وكان يواصل بعض الصحف بمقالات في العربية والانكليزية ويدعى الى الخطابة في المعاهد العلمية في لبنان وسورية و لاسيما الجامعة الاميركية في بيروت، وقد الف في هذا المنسك كتابه الشهير (كتاب خالد) في الانكليزية الذي سيجيء الكلام عليه.

حتى اذا مابزغ نور الدستور على البلدان العثمانية، طفق يجاهر بما كان يكتمه وكثرت دعوته الى منابر الخطابة وهو الخطيب المفوه الذي نجد كلامه مفعما بالافكار المبتكرة والاراء الناضجة، وقد اثر تأثيرا كبيرا في خطبه في المحافل السورية واللبنانية وتفهيمه الناس معاني الحرية والاخاء، والمساواة وكان قد سبق قدرسها درسا علميا في ديار واشنطن.

وعاد الى نيويورك سنة ١٩١١ للمرة الثالثة حيث تفرغ للتأليف والكتابة في رقى المجلات والجرائد الاميركية والعربية والقاء الخطب في المحافل الكبرى ثم رجع الى سورية، وبارحها قبيل الحرب الى موطنه الثاني اميركة.

واقترن المترجم سنة ١٩١٦ بالمس بيرتاكيس الاميركية النابغة في فن التصوير والتي اشتهرت في عالم الفنون الجميلة وعرضت لوحاتها البديعة في صالون باريس، ولاعجب فروح الفني المبدع لاتهوى غير شبيهها.

وقد كتب الريحاني مؤخرا مقالات رنانة في كبريات مجلات اميركة، بحث فيها عن ثورتنا العربية ونهضتنا القومية، وبين اعمال المنقذ الاكبر صاحب الجلالة الملك حسين واولاده العظام.

للاستاذ الريحاني قريحة وقادة في ابتكار المعاني الجديدة والاساليب المعجبة المطربة، وهو ينزع الى كل ماهو جديد، محطما قيود التقليد داعيا الى اطلاق الحرية للفكر، ليرى ويتمعن ويفهم فيعمل، كما انه وهو الشرقي العربي اللبناني، واسع المخيلة قوى التصور مما امتازت به كتاباته واشعاره في اللغتين اما مذهبه الفلسفي فالتجدد في الحياة الفكرية، واصلاح النفوس بالحرية، ونشر العدل والمساواة بين الجماهير، ويكاد ان يكون بين معاصريه اول من دعا الى الاخاء، والمصافاة وحذف الفوارق الدينية والمذهبية التي اصبحت عقبة كاداء في سبيل نهضة هذا الشرق، وخطبته في (التساهل الديني) اشهر من ان تذكر.

وهو يرمي الى اصلاح كبير وثورة ادبية، تهز اعصاب المجتمع العربي بل الشرقي فتذهب بعلله الادبية والاجتماعية، ومن مبادئه مناوأة كل التعاليم المضللة التي من شأنها ان تضغط على فكر الانسان وتشل عقله.

والريحاني، اول من ابتكر طريقة الشعر المنثور في العربية فهو عند العرب بمنزلة (ولت ويتمن) عند اهل اللسان الانكليزي.

وقد قالت عنه (ديترويت فري بريس): قد جمع الريحاني بين الشاعرية الصحيحة والعواطف السامية. وقالت نيويورك بوست: ان لأمين الريحاني منحة سامية من جمال اللغة.

وقالت مجلة (المقتطف):

امين افندي الريحاني ناظم رباعيات المعري بالانكليزية شاعر بالفطر ويفوق شعراءنا في انه مطلع على حقائق العلوم الحديثة فيرصع بها كتاباته الشعرية منظومة كانت او منثورة، حرية بان تكون في كل مكتبة عربية.

ويمتاز هذا الكاتب على غيره، بأنه مع اندماجه في الادب الغربي اندماجا جعله من اركان الادب العصري الانكليزي، لاتزال الروح الشرقية بادية على آثاره في اللغتين.

وهو لايأبه بما يعترض طريقه الاصلاحية من العثرات ولا يعبأ بما يتقوله عنه الناس بل قد اتخذ شعارا له (قل كلمتك وامش)..

وطالما ردد قوله المأثور:

انما انا احد المشتغلين في سبيل الاجيال الجديدة المقبلة.

وقد خدم الاستاذ الامين الشرق والغرب، الاول يبثه فيه روح النهضة والمبادئ الصريح التي ترتكز عليها مدنية اليوم، والثاني بافهامه قيمة الشرق بل العرب.

ويرى كثير من حكماء المشرق ان الريحاني بنقله الادب العربي الى الانكليزية خدم العرب اكبر خدمة، وبالتالي الاسلام.

كما انه من زعماء هذه النهضة القلمية التي تريد تكييف الادب العربي بما يناسب العصر الحاضر، ومبتكر الشعر المنثور الذي نؤمل ان يلعب دورا مهما في تاريخ الادب العربي في القرن العشرين.

عن كتاب امين الريحاني في العراق ١٩٢٣

رب العراق

قصيدة امين الريحاني

اصافحه والقلب في يدي
احييه والروح على لساني
اكبره وكلي كلمة الاكبار
اقف امامه فتنكشف اماميه اعاجيب الزمان
انظر اليه فتنظر منه اليّ ربات الاقاليم
المس ردنه فيرتعش جسمي، ثم ينتعش، ثم يهتز ابتهاجا، ولاعجب وهو كثير الاطوار غريبها.
يكلل رأسه السنديان ويجثو عند قدميه النخيل، تقيم له الجبال الهياكل، وتنبسط لقدومه السهول، يقبل الثلج فمه، وتقبل الرمال اعطافه، وتمتزج انفاسه بالخليج والبحار.
له كلمة تخيف وله كلمة تثير، وله اخرى تحيي وتميت.
وهو يسير في سبيله هادئا مطمئنا.
يولي وجهه تارة الغرب وطور الشرق، ولكنه ثابت. مستقيم في الحالتين.
يحمل الخير من الشمال الى الجنوب.
من اقليم الى اقليم يجيء بفيضه، ويتحول غربا وشرقا لتعم بركاته البلاد.
تقول له الجبال: اقرأ السهول سلامنا ويقول هو للسهول: اقرأي سلامي قحطان ومضر.

هو رب العراق وهو حياته الخالدة.

عينه عين الدهر، ولسانه لسان الزمان، وحافظته حافظة الخالد من الاكوان.
قد شاهد من الممالك ماقام منها بالسيف، وماقام منها بكلمة سحر حلال، وماقام منها بالعلم والفنون.
تلألأت على ضفافه انوار السرور والاهواء وجرت في ظلال نخيله مواكب العزة والمجد – الى حين.
ثم انطفأت الانوار، ودرست القصور، واضمحلت آثار العظمة كلها– الى حين.
وظل هو سائرا في سبيله هادئا مطمئنا.

هو رب العراق، هو حياته الخالدة.
كلمة سحرية اوجدت في ارضه التوحيد وبعثت من فيافيه صدى التكبير والتمجيد.
كلمة سحرية استعادت من بابل علمها، ومن اشور مجدها واستعربت من اداب ايران وكللت الثلاثة بالسامي من الايمان.
كلمة سحرية كلمة الاسلام، احيت دار السلام.
فنشأت فيها معاهد العلم والفنون، ونبغ الشعراء والمولدون، وظهر من الحكمة والادب كل كنز مكنون.
ومرحت في ظلال غرائبها العبقرية وشقيقتاها الخيال والمجون.
كلمة سحرية نشأت بعدها (الليالي العربية) التي اصبحت للامم جمعاء.

بل هي (الليالي البشرية، بنات العبقرية العربية.
بل ليالي النفس التي ينعشها ابدا الخيال وتحييها ابدا الامال.
لله انت يابغداد الرشيد، فلا يزال ذكرك يعطر ارجاء الاداب الغربية.
لله انت يابغداد المأمون، فلا يزال نورك يشع بين انوار العلوم البشرية.
لله انت ماكان اقصر يوم الحكمة فيك، وماكان اقصر ليالي السرور، وكل عزيز قصير الاجل.
كل عزيز مطمح الصائلين والطغاة.
سقطت بغداد، نهبت، دمرت، ضربت عليها الذلة، خيم فوقها الليل البهيم، فنامت نوم الاسير وهو يئن من وطأت الكابوس ثم نامت نوم المثقل جسمه بالمخدرات.
ولكن الكارثة الاسيوية لم تغير مقدار ذرة في من هيكله في الجبال وعباده في السهول.
فظل سائرا في سبيله هادئما مطمئنا.
ان رب العراق، مثل آلهة الهند، ليتجسد من حين الى حين في بشر كريم. من حامورابي الى آشور بنويال الى نبوركد نصر، الى المنصور والرشيد والمأمون، هذه مراحل سعيدة ماشكا الا قصرها الزمان.
ثم لبس الزمان الحداد، ودام الحداد الف سنة. ورب العراق يسير في سبيله هادئا مطمئنا.

ارب العراق!
جلست الى جانب طريقك، جلست يادجلة على شاطئك ونور القمر يلبس بغداد ثوبا من السحر، مؤنسا باهرا.
جلست يادجلة على شاطئك ونور الشمس يكشف عما في بغداد اليوم من اشباح الحياة، وقديم المحزنات.
جلست على شاطئك يادجلة، وظلمة الليل تحجب بغداد وتعطف عليها، فلا تخدعها كالقمر ولاتفضحها كالشمس.
وسمعت اذ ذاك صوتا يقول: ليحيى قحطان، ليحيى العرب. وسمعت صوتا آخر: لتحيى المدنية، وليحيى كل من اشعل مصباحا من مصابيحها ان في الغرب، وان في الشرق.
وصوتا ثالثا: اشد وقعا من الاثنين يشق يمينه الظلمات. ورب العراق! ان قلب العراق حي الى الابد.
ورب العراق! ان روح العراق لتبعث اليوم من ضريحها القديم.
ورب العراق! لقد قرب زمن التجسد الجديد.
وسيتجسد كذلك في امة ناهضة كريمة، تضيف الى ذلك المجد، مجدا رفيعا جديدا.

الى الريحاني

مقال افتتاحي لجريدة العراق في عددها ٧٠٥ المؤرخ ١٥ أيلول ١٩٢٢

من مدينة الحديد والبخار، الى حديقة الشعر والخيال.
من موطن العمل والجد والحركة المنتجة، الى مسرح الامل والشعر والاحلام التي تتولد وتنمو وتفنى كل يوم بل كل ساعة.
جاء فيلسوف الفريكة، ابن لبنان، ونابغة العرب.
وافانا من ارض كولمبس، بلاد الحرية، وربوع السلام، يحمل الى اقطار الضاد نفحة من نفحات الفكر الطلق في ذلك العالم الديمقراطي وفي حقيبته (بذور للزارعين) يريد بذرها في حقل هذا الشرق العربي المعروف بزكائه وخصبه، بعد ان عملت الثورات والانقلابات الاخيرة في تربته ما يفوق عمل الفلاح في حرث حقله وتحديد ارضه.
حدثنا يا اخا العرب عن عظمة اميركة المادية ومجدها الادبي.
ارو لنا عن عجائن تلك البقعة الذهبية التي كانت سجن العبودية، فغدت بفضل رسل الحرية ودعاة النور امثالك، بلد الحرية والمساواة والعدل. ولما تذوقت شهد الانعتاق، وادركت قيمة الحياة الحرة الطلقة، دفعتها مباديها الاخوية القويمة، الى السعي في تحرير العالم المقيد، وفي ضمنه شرقنا الجامد.
قدمت من بلاد النشاط والسعي والحياة العاملة.
فلا تعجب مما تشاهده عندنا من الايدي المغلولة عن العمل، والافكار المقيدة بالتقليد، والروح النائم. ولايروعنك الحال اذا مشيت بين هياكل بابل المائلة، وتخطيت مدائن العباسيين الدائرة، مدافن الحضارة وقبور العلم والفن والادب، بل انثر عليها من دمعك ما يمتزج بدجلة والفرات، النهرين التاريخيين اللذين لم يستطيعا ان يغسلان باموالهما الطاهرة النقية، لطخة العار التي لطخها في وجه الانسانية ظلم الانسان وجنونه.
ذلك علم الغزاة والفاتحين، الذين قضوا على مدنية الجدود وقرضوا ما رفعت من صروح العلم والعرفان، واركان المجد والعمران.
لكن، لا، لا،! لقدنا الزمان الذي نكفكف فيه الدموع وننهض للعمل. فابحث في مرابعنا عن الروح الراقي الذي كتب عليه ان يرقد رقدته الطويلة، فهزته النهضة العربية الحاضرة وانعشه عصر القوميات، فصار يتحفز للنهوض بل للوثوب وثبة الابطال والجبابرة.
ايها الفيلسوف المفكر: انبتك لبنان الجبل الجميل، واحتضنك واديه المهيب، واوحت اليك سماؤه السحرية، بآيات الشعر، ونفخت فيك ارضه المقدسة روح الفلسفة، فهجرت الوطن بجسمك لابروحك، وركضت الى عالم الحياة والعمل، وقومك في سبات عميق اميركا عالم غريب، وزن واشعار دقات المطارق وصلصلة الحديد، وخياله دخان المعامل، وموضوع فلسفته الحياة والحركة والعمل، العمل المثمر.
وبعد ان اختلطت في العالم الحي، التفت الى ارض اجدادك، حيث روحك تداعب سحب الجبل البيضاء، واموا ج المتوسط الزرقاء، فراعك جمود

ابناء قومك العرب، فاهبت بهم من مهاجرك البعيدة.
ولعلمك بانهم قوم احساسيون عائشون بالاحلام والخيالات خاطبتهم بما يفهمون وابتدعت لهم ذلك البيان العصري السلس في اسلوبك الممتاز وشعرك المنثور.
انت تعلم ان الطفل المريض ينفر من الدواء ويحسبه السم الذعاف، وتعلم ان الشرق طفل في نهشته الحديثة، لذلك نراك سكبت دواءك في زجاجات بلورية جميلة، شفت عن الوان بديعة، فاشتهته النفوس وتشربته الارواح.
ولم تقتصر خدمتك على ابناء قومك، بل اردت تعزيز اسمهم لدى الغربيين وتبيان مقام اسلافك العرب الصيد عندهم.
فترجمت بما اوتيت من بيان خلال في اللغتين رباعيات نابغة المعرة ولزومياته الى لغة السكون، فاطلعت الاقوام الغربية على قريحة العربي وعقليته السامية، وجمعت بعملك فلسفة الشرق بفلسفة الغرب.
فاكبرك العالم الغربي، واكبر اكثر من ذلك امة احببتك وادمغة عربية، اتت بمعجزات الفلسفة وبدائع الادب.
ولانخالك قد اكملت شوطك، اذ الواجب عليك اليوم ان تنظم رباعيات النهضة القومية الحاضرة، وتنقل الى اصحاب العقول الكبيرة والقلوب الواعية من الغربيين، مالقيته وتلقاه في ارض الفراعنة واغوار الجزيرة السعيدة وانجادها ووادي الفراتين وسهول سورية واعالي لبنان، من آثار اليقظة وبوادر الانتعاش ثم ارجع ببصرك الى عالم الضاد وناجه ببيانك الوضاح، وبلاغتك الساحرة، مظهرا له وقفت عليه من مواطن الوهن فيه.
يالبن سورية الحسناء.
اذا رأيت العراقيين يحتفون بك ويبالغون في اكرامك، فلا تحسبن انهم يكرمون عقلك وقلبك فحسب، كلا، انهم فوق ذلك يكرمون طينتك، اذ انت الشقيق العربي ابن الشقيقة سورية، والعراق اخو البلدان العربية كلها، ينزع الى استرجاع ذلك المجد الخالي، ولا يرى انه يبلغ مرامه بغير الاتحاد والاجتماع، فاذا بلغت ديار اهلك، ووقفت على ساحل المتوسط في مدينة العلم والادب بيروت او عاصمة المجد الاموي وصعدت الجبل الشامخ ولامست ذروة صنين فحي عنا سورية، سورية الكبيرة، والق على تلك الربوع النضرة بسمة، هي عاطفة العراق العربي نحو شقيقته سورية العربية.
وسلام عليك يانابغة العرب، وألف تحية..

في ومضة كنت ارحل بذاكرتي الى الوراء، الى اواسط الستينيات اذ رحل الشبيبي الى جوار ربه ونحن طلبة على مقاعد الدراسة في جامعة بغداد، والحق اقول لم نكن نحن الطلبة لاسيما في قسمنا (علم النفس) قد امتلكنا تصورا واضحا عن الاستاذ الكبير الشبيبي فقد ابعدنا اختصاصنا انذاك عن تعرف الكثير من الشخصيات السياسية والثقافية في البلد ممن صنعوا تاريخه الحديث، لكن معرفتنا بالراحل الشبيبي بدأت بعد رحيله مباشرة!!

قلب العراق
بين الشبيبي والريحاني

بدرخان السندي

فوجئنا بالاستاذ خالد الهاشمي الذي كان رئيسا لجامعة بغداد ويدرسنا في ذات الوقت احدى مواد اختصاصنا، اقول فوجئنا به يدخل المحاضرة في صباح احد الايام الدراسية. لم يجلس لكنه وقف الى جانب المنصة وبعد مدة صمت غير معهودة قال.. لقد رحل الشبيبي.. واستغربنا من عبارة استاذنا الجليل خالد الهاشمي اذ لا صلة بين هذه العبارة وما كنا نتوقعه من موضوع المحاضرة.. وبدت كلمات الهاشمي تنطلق مختنقة من فمه وهو يحدثنا عن الراحل الشبيبي ومآثره الوطنية وتفاعله مع اوجاع شعبه وسمو مكانته العلمية والأدبية ورجاحة عقله ووعيه التربوي ورحلته الشاقة العسيرة في تعاريج تاريخ العراق.

كان رثاء رائعا ونحن امام موقف ينأى بنا عما درجنا عليه في المحاضرات التقليدية، كنا نطالع وجه استاذنا الهاشمي الذي كان يشجب تارة ويحتقن تارة اخرى تبعا لعباراته التي كانت تحمل ذكرياته مع الشبيبي الراحل معرفا ايانا بدور هذا الرجل المفضال وببصماته على صفحات النهوض العراقي مؤكدا على الجانب الانساني والتربوي في شخصيته. لقد جعلنا الاستاذ الهاشمي نحزن حقا على رجل لم نكن قد عرفناه الا بعد مماته فاندفع بعضنا يقرأ عنه ويستزيد، واندفع بعضنا الآخر الى الحفل التأبيني الذي اقيم على روح الفقيد.. ثم بدأنا نتعرف هذا الراحل الوقور شيئا فشيئا، واذكر بعد عام من رحيله استوقفتني مقدمة كان قد كتبها الاستاذ الشبيبي لكتاب (قلب العراق) للاستاذ الاديب امين الريحاني، وكانت بداية التعرف بقلمه ولقد أثرت تلك المقدمة في نفسي واسعدتني..

اعود بك قارئي الكريم من حيث بدأت لأقول ان خبر الاحتفال بالذكرى المئوية لمولد الفقيد الشبيبي جعلني اعود لكتاب امين الريحاني (قلب العراق) لاقرأ تلك المقدمة. لا بل الكتاب برمته من جديد وعشت اجواء مضى عليها زمن طويل ولولا مسحة الألم التي تذكرني بما مضى دوما لخلت ان ما مضى كان بالأمس لا بل قبل لحظة، ولست ادري ما اذا كنت قد استرجعت تلك الاجواء ام هي التي استرجعتني وانا قرأ ثانية في كتاب كنت قد قرأته قبل اكثر من عقدين.؟

لقد زار الريحاني العراق عام ١٩٢٢ وز ار مدينة النجف زيارة خاطفة والتقى الاستاذ الشبيبي هناك، والح رحمه الله على الريحاني ان يمكث لمدة اطول لكن يبدو ان الضيف كان في عجل وبالرغم من قصر اللقاء فقد تعمقت بينهما علاقة حميمة مطبوعة بالاعجاب، هذا الاعجاب الذي يمكن ان نستشفه من مقدمة الشبيبي لكتاب الريحاني ومن انطباعات الريحاني عن الشبيبي في متن الكتاب بالرغم من عدم تطابق كل الآراء بينهما اذ يمكن للقارئ ان يقف على بعض اشكال التناقض او عدم الاتفاق في بعض المشارب ومسالك الحياة بين الرجلين.

لقد كتبت صحف بغداد في ذلك الزمان في خريف عام ١٩٢٢ عن هذه الزيارة فأولت هذا اللقاء اهتمامها وذكرت ان الشبيبي اهدى الريحاني مخطوطا ثمينا وقديما جدا وهو (كتاب المثالب لابن الكلبي) الذي يعد من نوادر المخطوطات العربية، وقد ذكر الريحاني هذه الهدية في وصفه لرحلته الى العراق وهذا ما سنأتي عليه من بعد.

يعرفنا الشيخ محمد رضا الشبيبي في مطلع مقدمته عن كتاب الريحاني بطبيعة هذا الكتاب ودوافع كتابته لهذه المقدمة فيصف الريحاني بفقيد الادب والفلسفة الذي وضع هذا الكتاب بعد عودته الى الشرق من دار هجرته في امريكا ثم يصف الكتاب قائلا ان (قلب العراق) من امتع كتب الريحاني اذ يتناول دراسة لاوجه النهضة العراقية في العقد الثالث من القرن العشرين ويتضمن آراء خاصة للمؤلف.

وتتوهج كلمات الشبيبي بروح وطنية متوقدة وهو يصف الانكليز بالمحتلين لكتاب يطبع من جديد في وقت كان الانكليز يتحكمون فيه في العراق وثروته بشكل غير مباشر تحت ستار العراق المستقل فالمقدمة كتبت لطبعة عام ١٩٥٧ من هذا الكتاب.

ونلحظ من مقدمة الشبيبي تعاطفه مع بعض آراء الريحاني في الثورة اذ يصف كيف استقبل الريحاني استقبالا شائقا في العراق لأن ابناء العراق وادباء العراق وجدوا فيه ثائرا على كل شيء..

ثائرا على المجتمع الشرقي الذي نشأ فيه وثائرا على المجتمع الغربي الذي هاجر اليه، ويقتنص الاستاذ الشبيبي احدى عبارات الريحاني في وصفه لبغداد فيدونها نصا في مقدمته اذ يقول الريحاني عن بغداد قبل ما يقرب من ستين عاما: (هي الحوقلة والاستسلام وهي الشغب والتمرد وهي الورع والتقوى وهي في هذا الزمان النفط، وقد يصير النفط في المستقبل روحها الكيمياوية العظمى، روحها المركبة في بوتقة هذا الزمان البراق).

ويثني الشبيبي على فراسة الريحاني اذ اصبح النفط لا روح بغداد وحسب بل روح كثير من الاقطار العربية فقد قال عبارته في وقت لم يكن فيه نفط كركوك والبصرة والكويت والصحراء العربية قد استثمر بعد.

ويؤكد الشبيبي مسألة اثقلت كاهل الريحاني وهي تهافت الشرقيين على مظاهر الحضارة الغربية لا بل مساوئها ودور الاستعمار في تحفيز هذه الظاهرة التي لا تنجب غير الرذيلة والفساد ثم يعرج على دور الاستعمار في شق الصف بمؤثرات عنصرية او طائفية محذرا من نتائجها الوخيمة، ويخلص الشبيبي من جملة آراء الريحاني الى ان الريحاني (كان فيه ميل ظاهر الى الثورة و الخروج على العرف والمصطلح ومع ذلك كان يتجه في فلسفته الى تغليب الروح على المادة).

لا يتفق الشبيبي مع آراء الريحاني ازاء الدين ويحاول ان يفسر موقفه السلبي من الديانة الى اطلاعه وتأثره بما آلت اليه الحال في اوربا بسبب النعرات المذهبية وما اسفرت تلك الاحتدامات والصراعات عن مذابح مروعة، لكن الشبيبي يقف ضمن هذه المقدمة متصديا لكل

مثقف وجد ان من متممات العصرنة الثقافية الابتعاد عن قيم الدين، ويعتمد الاستاذ الشبيبي في تصديه هذا جوهر الدين ولبابه، فاذا ما عاد المرء الى جوهر الدين اضمحل الصراع وزالت دواعيه، وهكذا نجد ان الاستاذ الشبيبي بالرغم من اعجابه بالكثير من أراء الريحاني لم يكن مجاملا او ساكتا عن المسائل التي تتقاطع واتجاهاته.

لقد اعجب الشبيبي بعبارة سياسية للريحاني في وصفه للواقع السياسي العراقي في العشرينيات عندما طاف مع نائبين عراقيين في بغداد وكان من ضمن جولته زيارة سجن بغداد وبعد ان تجول في السجن قال للنائبين العراقيين المرافقين له: (ان سجنكم يستبشر به اكثر من برلمانكم) ويعلق الشبيبي على هذه العبارة قائلا وبجرأة: (ان كل ما حدث بعد ذلك التاريخ في الانتخابات النيابية يشهد للريحاني باصابة المرمى ولو عاش الى هذا اليوم لقال اكثر من ذلك في هذه المجالس والانتخابات المزيفة لا في العراق فقط بل في غير قطر من اقطار الشرق العربي).

ويتألم الشبيبي رحمه الله من كل محاولة لا تعكس وجه العراق جميلا وجسم العراق قويا فقد كان غيورا الى درجة المكابرة، فبالرغم من معرفته بواقع بلده فهو لا يرغب ان يطلع الغربيون على كتاب الريحاني لان الريحاني قد كتب عن (بعض الخانات القديمة القذرة) التي صحبه اليها مستشار الاوقاف وكان بريطانيا، ويقول الاستاذ الشبيبي: (عرض الريحاني في . قلب العراق – صورا بشعة عن حياة الطبقة الفقيرة ومساكنها في بغداد وكان دليله هناك مستشار الاوقاف البريطاني واذا اتخذ الزائر من الغراب مرشدا ودليلا فأنت تعرف اي شيء يدل الزائرين) ثم يدون في نهاية العبارة البيت الشعري الشائع:

اذا كان الغراب دليل قوم
يدلهم على دار الخراب

ثم ينهي هذه الملاحظة بقوله (لقد اراده هناك صورا بشعة لبعض باعة الاغذية وغيرها وهي صور قد يلحق العراق والعراقيين منها سمعة لا يغبطون عليها بل يتخذ منها الغربيون الطغاة وسيلة للتجني على الشرق فما اغنى المؤلف عن عرض تلك الصور)، ويستمر الشبيبي في ن قده لهذا الاتجاه في تدوين الواقع العراقي وبدافع من الحرص على سمعة العراق.

ويحلل الشبيبي رحمه الله الواقع السياسي والوطني للمثقفين والادباء العراقيين في المدة التي تألقت فيها مطبوعات الريحاني اي قبل ثورة العشرين وإبانها وبعدها مباشرة، فحظيت احاديثه وافكاره وكتبه باعجاب العراقيين، والشعب العراقي يمر بمرحلة على درجة عالية من التحسس والتحفز الوطني والرغبة في الانعتاق والتحرر، لأن كتب الريحاني كما يذكر الاستاذ الشبيبي (كانت حافلة بالأراء والافكار الثورية).

يتوصل الاستاذ الشبيبي ضمن مقدمته الى تعريف موضوعي لأدب المهجر، وهو لا يفاجئ القارئ بهذا التعريف بل يستقرئه من خلال اتجاهين متباينين حول ادب المهجر، اذ يذكر في معرض تعريفه لهذا الضرب من الأدب:. (هو ادب تضاربت فيه الآراء فمن متعصب له الى متعصب عليه ومن زاعم انه وحده ادب التجدد في العربية الى قائل انه ادب دخيل تعوزه الاصالة، وبين هذا وذاك رأي وسط وهو ان ادب المهجر . على الاجمال . ادب رقيق طريف خفيف الظل في كثير من الاحيان نصيبه من العناية بالمعنى الحديث اكثر من نصيبه من العناية بالمبنى، وقد ذهب بعضهم الى ان ادب المهجر الذي وضع امين الريحاني قواعده، ادب ثائر متمرد على التقليد والمقلدين او المحافظين وانه ادب النهضة الفكرية التي سايرت النهضات العالمية وقد بالغوا في هذه الناحية) ومرد ذلك على ما يعتقد الشبيبي رحمه الله، البيئة الحرة الت عاشها الادباء والكتاب المهاجرون بنجوة عن الاستبداد والطغيان ويؤكد ذلك بمزيد من التوضيح اذ يقول (أجل مرد ذلك الى تأثر القوم بالبيئة وبثقافة قامت على اساس حب التحرر والعمل والاجتهاد فاستلهموا منظومهم ومنثورهم من الواقع وعنوا بالمعنى والفكرة قبل العناية بالالفاظ).

والحقيقة ان هذا لا يعني ان الاستاذ الشبيبي يلغي من حساباته مسألة الشكل في الادب بل يولي المعنى اهمية قصوى لاننا نجده بعد ربطه المضمون بالمحيط او البيئة التي يتفاعل معها المبدع، فتحرر المعاني وليد الحياة الحرة التي يحياها الاديب المهجري، نجده يؤكد مسألة الشكل اذ يقول: (ان الادب الاصيل هو الفن الذي لا يقتصر على العناية بالمعنى تاركا ناحية القوالب والمبنى، فالالفاظ واساليب التعبير يجب ان تنال حظا من العناية لا يقل عن حظ

يحق لنا بعد ان تعرفنا بعض اراء الشبيبي وانطباعاته عن امين الريحاني عبر المقدمة التي كتبها، ان نتصفح (قلب العراق)

المعاني)، ولا يتفق الاستاذ الشبيبي مع محاولة بعض النقاد ممن اراد ان يميز ادب المهجر بخصائص معينة منها ما يعود الى الالفاظ ومنها ما يعود الى المعاني، فلم يجئ بشيء، ثم يؤكد ان خصائص الادب الحق في المهجر هي خصائص الادب الحق في جميع العصور و(ان الشعراء والادباء المغتربين فطروا على الادب ووهبوا تلك الموهبة ولو انهم لم يغتربوا وتمكنوا من العيش احرارا في بلادهم لنظموا ونثروا وجودوا في نظمهم كما لو عاشوا في تلك الديار النائية).

ارى انه يحق لنا بعد ان تعرفنا بعض اراء الشبيبي وانطباعاته عن امين الريحاني عبر المقدمة التي كتبها، ان نتصفح (قلب العراق) لنتعرف على انطباعات الاستاذ امين الريحاني عن الاستاذ الشبيبي، وبالرغم من ان الرسالة التي ارسلها الريحاني من فريكة في لبنان بعد زيارته للعراق تدل على مدى اعجاب هذا الرجل بالشبيبي فقد آثرنا ان نتجاوز المقدمة لأن الرسالة جاءت ضمن المقدمة حيث اراد لها الناشر ان تكون، ولندخل (قلب العراق) لنقف على الانطباعات الموضوعية التي كونها امين الريحاني عن الشبيبي من خلال لقائه به في النجف ومن خلال نتاجات نماذج من شعره ونثره.

يذكر الريحاني ان الشبيبي لم يكن انانيا ليهدي شيئا يعبر عن ذاته كما درج الادباء والشعراء في اوروبا اذ تكون هدية الشاعر لزائر او معجب صورة شخصية او نسخة من ديوانه لكن الشبيبي كما يذكر الريحاني: (ما اهداني رسمه ولا شيئا من شعره، بل قدم لي ما يصرف النظر عن نفسه وما هو في نظره اثمن واعز، قدم لي مخطوطة قديمة من كتاب عربي قديم).

ويصف الريحاني الغرفة المتواضعة، وقد تربع الشبيبي على فراش فوق حصير على الارض في وسط قاعة فرشها عادي وقليل وامامه طاولة صغيرة عليها اوراقه وكتبه.

ويعتقد الريحاني ان الشبيبي كان اسير تقاليده وواقعه في وقت كان فيه الشبيبي اوسع من واقعه ومحيطه القاسي المحدود اذ يقول الريحاني: (ما اظن ان طيرا في قفصه كان يغبط الشبيبي، او يود ان يكون على شيء من حاله في تلك الايام، وهل يغبط السجين اخاه في سجنه؟ ولكن الشبيبي فر من قفصه في السنة التالية هاربا الى بغداد حيث علق جناحه في دبق السياسة فغدا عضوا في المجلس التأسيسي، من قفص عتيق الى قفص جديد مطلي بالذهب! فلا عدجب اذ لم يطقه سوى سنة او سنتين، ولا عجب اذ فر بعد ذلك منه كما فر من قفص النجف).

ويرى الريحاني في الشبيبي شاعرا روحيا لا يغره العلم ولا يطوح به الجهل ويمكن ان نستنتج مما اتى به الريحاني في معرض تحليله لشعر الشبيبي ان هذا الرجل كان على قدرة واضحة في خلق حالة اتزان داخلية بين احترام الماضي والثقة بالمستقبل، (وهو مؤمن على الدوام حتى في حيرته ومطمئن حتى في اضطرابه).

ويكتشف الريحاني حالة من الصراع النفسي لدى الشيخ الشبيبي، هذا الصراع الذي لم ينج منه كثير من الشعراء والمفكرين فالشبيبي (يعد وهو ضمن دائرة محدودة وان اتسعت من المتمردين وقد تعترضه اذا ما حاول اجتياز الحدود عناية الهية او شبه الهية فيعود الى ربوع الامان وفي قلبه خشوع وعلى لسانه كلمات الحمد والرضى).

هذا ما توصل اليه الريحاني عبر نماذج شعرية للشبيبي دونها في كتابه قلب العراق، فالشبيبي لم يستطع التخلي على (الارث الشعري الديني) من جهة ومن جهة اخرى كان ميالا الى مباديء العلم الحديث، ويعطينا الريحاني مثالا على ايمان الشيخ الشبيبي بمبدأ البقاء للاصلح من بعض ابياته:

اطبقت اسفاري وقلت لها اغربي
سفر العوالم بعض ما اتصفح

واذا تنازعت البقاء عوالم
صح الاصح بقاؤه والاصلح

ويصف الريحاني نثر الاستاذ الشبيبي بالسلس المتين وقد اقتبس بعضا من نثره في كتابه، والشبيبي يحاول ان يعالج "عقدة الاجنبي في نفوس الشرقيين:

"نحن الآن في عصر الشك، كما يقول فريق من اهل الغرب، ومن ذلك ان شكنا الان يتناول حتى اسس الثقافة التي يريدها معظم الغربيين للشرقيين ومن بين هذه الاسس غمز الشرق والشرقيين والتنديد تصريحا او تلويحا بقيمة اثرهم في الحياة حتى ضعفت ثقة شباب الشرق بانفسهم وببطولة اسلافهم وتلاشت في بعض الجهات وحل محلها الثقة المطلقة بتفوق الغربيين".

ويظهر في مقتطف آخر من نثره الذي رغب الريحاني ان يدونه في (قلب العراق) مسألة وجوب التسليم بتكافؤ المواهب والكفايات بعد ان وضعت الحرب العامة (الاولى) اوزارها فبات من الضروري ان ينظر الى الانسان دون تمييز ونبذ دعوى تفوق جماعة على اخرى (فليس في الدنيا من هذه الناحية شرق ولا غرب، بل بشر يتداولون التفوق والغلبة وفق احكام سنن الكائنات العامة . نواميس الاجتماع والعمران . ولا شيء افعل في تجديد شباب الشرق واستئناف قواه للعمل في سبيل حضارته وعمرانه، من رسوخ هذه العقيدة القديمة فيه).

ترى ألست محقا في عودتي الى قراءة (قلب العراق) ثانية بعد اكثر من عشرين عاما على قراءتي الاولى له جزءا مفترض الآلاء والشكران لاستاذنا خالد الهاشمي الذي حدثنا عن الاستاذ محمد رضا الشبيبي في رحيله كما اشرنا في مطلع هذا الحديث فزرع في نفوسنا حبا لرجل عراقي سخر قلمه وحياته من اجل استنهاض العراق.؟

جريدة الجمهورية
١٩٨٩

مع الملك المغربي
محمد الخامس

أمين الريحاني..
والدعوة إلى حوار الأديانِ والثقافات

على الرّغم من أن أمين الريحاني (١٨٦٧-١٩٤٠) تناول بما تميّزَ به من تنوُّع مواهبه بالبحث والتعليق مواضيع مختلفة ومتعدّدة، وتقصّى في بعض الأحيان ما استعصى وانغلق من الأمور، فإنَّ الموضوعين اللذين استحوذا على اهتمامه وسيطرا على تصوّره وخياله كانا الدّين والحرّية. فهذان الموضوعان يُطلاّن بوضوح بارز جدّا من كلّ أعماله باللغتين العربيّة والإنجليزيّة، سواءٌ أكانت كتبًا أم مقالات أم شعرًا. وقد اتّخذ الريحاني أستاذًا له من أبي العلاء المعرّي الذي ربّما كان أشعر شُعراء العرب قاطبةً عبر التاريخ. وكان المعرّيُ نفسه من بين الذين استحوذ على اهتمامهم موضوعا غاية الحرّية، وحقيقة الدّين. وقد اخترت أن أركّز اهتمامي في هذه الدراسة على أحد هذين الموضوعين، ألا وهو الدين، غير متناس مسألة حريّة الضمير. فقد لا يكون هناك اليوم أنسب من هذين الموضوعين وأجدر بالبحث والتمحيص. وأنني أستذكر بهذه المناسبة قول الشخصيّة البريطانية العالمية والمؤرّخ الكبير اللورد أكتون Lord Acton (١٨٣٤-١٩٠٢)؛ وليس المسرّات والرفاهية، ولا المعرفة أو السلطة. ومع ذلك فطريقهما ملطّخ بالدماء ولا نهاية له.

لقد وصف الأديب الإنجليزي و. هـ. أودن W. H. Auden (١٩٠٧-١٩٧٣) باكورة القرن العشرين في شعره الخالد بأنّها فترةٌ تاريخيّة تميّزت بأنّها "عصر القلق"؛ إذ كانت عهد ثورات عارمة وحروب عالميّة، واقتصاد متقلّب غير مستقرّ، والتقاءات مفاجئة بين الشعوب والثقافات التي ظلّت حتّى ذلك الحين معزولة بعضها عن بعض إلى حدّ كبير. ففي غمضة عين، اجتاح انهيار الممالك والخلافات وانتهاء اعتماد الإمبراطوريّات على الاستعمار أسس الحياة ونسقها المنتظمين على هذا الكوكب. فأدّى ذلك بدوره إلى شعور بالغربة واليأس والقلق وعدم الاستقرار، وخلق أزمةً روحيّة عمّت بتأثيرها كل بقاع الأرض.

وكتب الأديب جاكوب أيزاكس Jacob Isaacs في كتابه الصادر في عام ١٩٥١ بعنوان "تقييم لأدب القرن العشرين" ما يلي

يُعرف أيّ عصر من العصور بألفاظ وبعبارات خاصة شائعة الاستعمال والتداول، سواء أكانت تلك العبارات والألفاظ تمثل تجسيدًا حقيقيًا لذلك الزمن أم تُعبّر عن مجرّد علة من نسج الخيال. فقد اهتمّ القرن السابع عشر، مثلاً، بكلمة "العقلانيّة"، والقرن الثامن عشر بكلمة "الطبيعة"، أمّا اهتمامنا في القرن العشرين فقد تلخّص في عبارة واحدة هي "المأزق الإنسانيّ". فنمت هذه العبارة عمّا يشغل بالنا وما يتكرر في حديثنا عن الإحباط والارتباك والتفسخ وسوء التكيّف، إضافة إلى عمق ما تحس به من مشاعر القسوة والعنف والسّادية، وما يسودنا من مشاعر الحيرة والقلق؛ وفي خلفية كل ذلك الشعور بالذنب والخطيئة والمهانة واليأس، وليس الإيمانُ والأمل والمحبّة أبدًا.

وما كان هذا الانشغال بفكرة "المأزق الإنسانيّ" إلا عاملا أساسيًا في نشر مرض أصاب الروح والنفس في آن معًا وظهّرت أعراضه واضحةً في ما أصاب المجتمع الإنساني من الحيرة والقلق النفسيّ وولد شعورًا عميقا بانعدام الطمأنينة والسلام. حتى المجتمعات القديمة التي لم تمرّ بتجارب التكنولوجيا والتصنيع المؤلمة لم تسلم من هذه الظواهر التي مثلت حوار الإنسانية مع الحداثة والتطوّر.٢

برزت في غمرة هذه الأحوال والظروف المضطربة مجموعة مرموقة من المهاجرين العرب إلى الولايات المتّحدة، بعضهم من السوريين، وغالبيّتهم من اللبنانيين، الذين فرضوا تأثيرهم القويّ على النهضة الثقافيّة العربيّة، وعلى التقارب الديني، وعلاقة التبادل الثقافي بين الغرب والعالم العربيّ. وكان أعضاء هذا الفريق من الأدباء والكتّاب والشعراء والفلاسفة الذي ضمَّ أمين الريحاني وجبران خليل جبران وميخائيل نعيمة بمنزله السُّفراء الثقافيين بين الشرق والغرب في فترة تاريخيّة هامّة، وذلك عندما كانت موجة التحديث والعولمة تجتاحُ العالم العربي نتيجةَ اكتشاف تروته النفطيّة الجديدة، وفي الوقت الذي كانت تبرزُ فيه أميركا كعملاق للنشاط الاقتصاديّ والتقدّم الماديّ. وأتخذ الريحاني، وغيره في رهطه، من حدة أقلامهم ورؤيتهم الشاعريّة مصدر وحي استشفوا منه بوضوح ثاقب طبيعة التحدّيات الروحيّة التي تجابه أميركا والعالم العربيّ على حدّ سواء.

من أهمّ المواضيع التي يبدو أنها كانت مصدر وحي لفكر أمين الريحاني الوئام بين أديان العالم. فخاض في بحث هذا الموضوع مرّة بعد أخرى، وكرّره في أعماله كما في قصيدته "أنشودة الصوفيين،" ومقالاته في كتاب "جادّةُ الرؤية،" ورائعته "كتاب خالد"، وغير ذلك من مقالاته ومحاضراته عن "التطرّف" و"التساهل الدينيّ" و"إصلاح الأمّة"، وخطابه في حفل التخريج بكليّة عالية الوطنيّة في عام ١٩٢٢. وكان من النتائج الملازمة لمبدإ الوحدة والانسجام بين الأديان النظرة المتعمّقة التي طالما عبّر عنها الريحاني، وهي أن أي فرقة أو صراع بين الأديان إنما هما حصيلة الفساد أو فقدان التفاهم بين قادة ورؤساء المؤسّسات الدينية النظاميّة الرسميّة. وها هو الريحاني يتوجّه بالدّعاء "إلى الله"، على لسان بطله خالد في الكتاب المسمّى باسمه، فيقول:

عبثًا طلبتك في أديان الناس،
عبثًا بحثت عنك في سراديب عقائد الناس،
ولكنّي لقيتُ في كتب العالم المقدّسة بعض آثار سماويّة طامسة،
فلقد توضّح لي حرف ساكن من اسمك في "الفيدا"،
وحرف في "الزّند آفستا"،
وحرف في الإنجيل، وحرفٌ في القرآن،
أجل وفي كتاب الجمعيّة العلميّة الملكيّة
وسجلاّت جمعيّة المباحث النفسيّة
بعض الحركات التي لا يحسن الطفل البشريّ
أن يحرك بها الأحرف الساكنة من اسمك.
وانّى لأمم الأرض وهي في طفولة الحياة
ان تحسن النطقَ به!
من يهدينا إلى تلك الهمزات، همزات الوصل الإلهيّة
التي تجمعُ بين الكواكب البعيدةالمتقابلة
في أطراف الأفلاك السماويّة؟
فلقد خطّت على نقاب السرّ الأبدي كلماتٌ،
وامّحت،
ثم خطّت وامّحت.
كل أمة من أمم الأرض أدركت حرفًا
من هذا الطلسم العظيم،
لكن الحركات وهمزات الوصل
لا بد أن يأتي بها علماء المستقبل
لتحيي جمودا في أحرف الكتب المقدّسة الساكنة،
وتبعث فيها سلاسة الماء والهواء،
وتزيل اللكنة من لسان هذا البشري الطفل
ومن قلبه

إستمدّ الريحاني الوحي من موقع لبنان كمفترق طرق تاريخي ونقطة التقاء جغرافي بينَ الإسلام والمسيحيّة. فقد تأثر بما شهده من قيام التآلف بين الأديان في لبنان، وأدرك في الوقت ذاته أنّ هذا التآلف حطّمته القوى السياسيّة الخارجيّة وقضت عليه في بعض الأحيان. وعلى الرّغم من أن الريحاني ولد مسيحيًا مارونيًا، لم يجد صعوبة في الاعتراف بأن محمّدًا رسولٌ من عند الله، وبأن القرآن كتاب مقدس. فقد آمن بأنه ما من دين واحد يمثل بذاته النهاية والحقيقة المطلقة، ولكن الأديان كلّها سبل تؤدّي بالإنسان إلى الوعي بالألوهيّة، فكتب ملخّصًا إيمانه ذلك في تعريفه البليغ تحت عنوان "الحقيقة الكبرى": متضاربة. الحقيقة تجمع، والعقائد تفرّق. الحقيقة إلهية أزلية، والعقائد زمنية زائلة. أن نعرف الله، أن نتأمّله ونستشعر به في سلوكنا الإنسانيّ—هذه هي الحقيقة الكبرى في كلّ الأديان.
أمّا الاتّجاه إلى وسطاء بين الإنسان وبينه تعالى فمن الانحرافات في كل دين. وشبيه بذلك الطقوس والتقاليد.
إن النعيم والجحيم حالان نفسيّان، أمرهما—في الحياة الدنيا وفي ما قد يتلوها من حياة—بيد الإنسان.
والاعتقاد في كونهما ثوابًا وعقابًا في الحياة الأخرى ينافي حقيقة الله، روح الحبّ والحنان.
إنّما الدين، كلّ الدين، في الاتصال بهذه الروح والاستنارة من أنوارها. وعندما يدرك الناسُ ذلك يقلعون عن التعبّد الظاهري ويقبلون على التأمل والسلوك. ينبذون العقائد ويتمسّكون بالحقيقة. يتحرّرون من الخرافات ويتقرّبون من الله بالفكر الصالح والعمل الصالح
كان الريحاني طليعيًا في اعتناق مبدإ وحدة الأديان. وهو مبدأ ظهر، أوّل ما ظهر، في العالم الحديث في برلمان أديان

العالم الذي انعقد في مدينة شيكاغو في عام ١٨٩٣. ثم عبّر عن تلك الفكرة، فيما بعد، بعض كبار مفكّري عصرنا من أمثال المهاتما غاندي Gandhi (١٩٦٩-١٩٤٨) الذي قال إنّه "لن يكون سلامٌ دائمٌ على الأرض ما لم نتعلّم ليس مجرّد التسامح (التساهل) مع الأديان الأخرى فحسب، بل حتى احترامها وكأنّها أديانُنا"؛٥ وهانس كونغ Hans Kung (مولود ١٩٢٨) الذي أعلن أنّه "لن يسود السلام بين الشعوب دون قيام السلام بين الأديان."٦

أوجد الريحاني معادلة للسلام بين الأديان، ولقي أسلوبه قبولا كحركة للتقارب بين الأديان؛ وهي حركة انتشرت وتعزّزت كثيرًا في العالم الغربي، لكنها لم تنضج كلّيًا بعد في العالم العربي. وقرر أن التعصب القائم على عدم التساهل الديني هو أكبر العقبات التي وقفت في طريق التقدّم والازدهار في العالم العربي؛ فكتب مقالا بعنوان "إصلاح الأمّة"، قال فيه:

إن من العقبات التي تعترض الشرقيّ عامة، والعربي خاصة، في ارتقائه عقبة جهنّميّة يكرّم عندها أبناء الطاعة والجهل—أو الطاعة والمصلحة—ويقضى فيها على الحرية والاستقلال. عقبة اقامها رؤساء الأديان وزرعوا جوانبها شوكًا وقلامًا. عقبة يلجأ إلى أكواخها كل من يخشى النور، نور العلم والحرّية والرقي المدني، وكل من يرفض الإخاء والوحدة القوميّة والمساواة خوف أن يغبن فيها. عقبة تبعد الناس بعضهم عن بعض، وتثير الناس بعضهم على بعض، فتتفكّك عناصر الأمّة وتتقوض أركان الوطن. هي حقا عقبة كأداء، ولا حياة لنا راقية، لا حياة وطنية جامعة إلا في تذليلها أو في هجرها.

وهل من حاجة إلى أسمائها. لا ليس الدين ما أعنى، إنما الدين سهل منبسط فسيح فيه طرق للشعوب كلّها. أمّا العقبة فهي محوطة بالأسلاك الشائكة، العقبة هي الطائفة، هي الملّة، هي العشيرة. بل هي الفكرة البشريّة الصغيرة التي تخرج بنفسها من دائرة الإنسانيّة الكبرى، فقلّما ترى الفضل في غير أبنائها، وقلّما تريد الخير لغير أبنائها.٧

علّم تاريخ لبنان الريحاني أخطار التحزّب والطائفيّة، فلم يكن سوى الاحتقار والازدراء لأولئك الذين يستغلّون الشعور الديني لإغراض دنيويّة. وكتب في ذلك يقول على لسان أبي طنّوس:

ما أجمل أمثالكم، يا محترم، وما أبعد أمثالكم عنها. أمثالكم مثل الطعم تضعونه في الصنّارة لتصطادونا نحن الأسماك في بحر المجتمع الإنساني... أنتم تبشّرون بالقناعة وتجمعون في أكياسكم وصناديقكم المال. أنتم تنهون عن الشر وقلّما تعملون عملا مجرّدًا من الغايات الشخصيّة الخبيثة. أنتم تأمرون بالصوم والتقشّف، ورئيسكم لا يأكل غير الطيور، ولا يشرب غير النبيذ المعتّق. أنتم تبشّرون بالمحبّة وتدسّون الدسائس بعضكم لبض طمعًا بالمناصب والألقاب وكمعًا بالمال. أنتم تعلّموننا الطاعة والخنوع، ونحن نعلّمكم كيف يكون العلم والانصاف مع المساواة، والنجاح العام مع الحكم الديمقراطي العام.٨

وبمعنى آخر، كان الريحاني وغيره من أعضاء المدرسة اللبنانيّة الأميركيّة طليعة حركة تآلف الأديان والطوائف في العالم العربيّ وواضعي أسس الحوار بين حضارتي الشرق والغرب. فقد اجتمع عدّة أعضاء من هذه المجموعة، بمن فيهم الريحاني وجبران، في باريس في عام ١٩١٠، لوضع تفاصيل خطط نهضة روحية ثقافيّة في العالم العربي. وقد انطوت تلك الخطط على اقتراح طموح بإنشاء دار للأوبرا في بيروت لها قبّتان تمثّلان المصالحة والتوافق بين المسيحيّة والإسلام. وفي العالم ١٩١٦ أسس فريق من أعضاء هذه المجموعة "الرابطة القلميّة"، وهو جمعيّة أدبية للمهاجرين العرب أدّت دورًا هامًا في النهضة الثقافيّة العربية وتطوّر الأدب العربيّ الحديث.

وعلى الرّغم من أن الريحاني كان من مشجّعي "الرابطة" ومؤيّديها، فإن مسؤولياته المتعددة كسفير ثقافي متجول لم تفسح له مجال الانضمام إلى "الرابطة" إلا بضعة أشهر. بيد أنّه ما من شكّ في أن الريحاني يعتبر الملهم الأول لأعضاء "الرابطة القلميّة" في مرحلتها الأولى. فقد وصفه جبران اعترافا برعايته وقيادته بأنّه "المعلّم". وكان لـ "كتاب خالد" الذي نشر في العالم ١٩١١—وهو أوّل كتاب للريحاني باللغة الإنجليزيّة، وربّما كان أول كتاب على الإطلاق ينشره كاتب عربي بالإنجليزيّة—تأثير عميق في جبران ومخائيل نعيمة.

وتتردد في "كتاب خالد" أصداء التآلف الإنساني الذي وجد أيضًا طريقه إلى التعبير في كتاب "مرداد" لميخائيل نعيمة وكتاب "النبيّ" لجبران خليل جبران. ومع أن جبران حقق شهرةً أوسع عن طريق شعره وأدبه، فقد ظلّ ينظر إلى الريحاني الذي كان يكبره بسبع سنوات كأخ أكبر. وكان الريحاني مفكرًا وفيلسوفًا أكثر ممّا كان شاعرًا. كان رجل عصره. ألّف وكتب وسافر متنقلا في أميركا والعالم العربي دون كلال، فتحدّى قرّاءه أن يعوا تمامًا ما تعد به الحداثة من فوائد وأن يدركوا في الوقت نفسه ما يحمله العصر الحديث من الأخطار والنوائب. وعن هذا التجاذب بين حياة الفكر والروح والحياة الدنيويّة من فعل وعمل كتب يقول:

إن السّير في الشوارع يذكر الإنسان بالإنسان وأمّا السّير في الوادي أو الغاب، فيذكّر السّائر بالخالق العظيم الأوّل يدعو إلى العمل، والثاني إلى التفكير والتأمّل. في الأوّل بعض اللذة التي يتبعها الإعياء والقنوط، وفي الثاني نوع من اللذة التي يتبعها النشاط والعزم وحسن المآل.

إستطاع الريحاني مثل ما استطاع نفرٌ قليلٌ من قبله أن يجمع في ذاته حسًّا وفهمًا عميقين لعالمين متباعدين مختلفين كل الاختلاف. فخاطب أميركا بلغة الإطراء والتعنيف على السواء. وخفق من مديحه لحيويّة شبابها ونشاط أهلها العملي والوعد بحرّيتها السياسيّة وتقدمها العلمي تحذيره من أخطار الإفراط في المادّية والفساد السياسي وعدم الإنصاف الاجتماعيّ. ووازن حماسته للإصلاح العصري إدراك عميقٌ للحاجة إلى قيم روحيّة ترشد التحوّل الاجتماعي وتشكله. فدعا الغرب في كتاباته بالإنجليزية إلى اكتشاف تراث الشرق الروحي وتفهّمه، ضاربًا المثل بموطنه لبنان كمجتمع متعدد الثقافات، حيث تتجسّد وتنسجم القيم التقليديّة الدائمة لكل الطوائف والأديان. أمّا كتاباته العربية من الناحية الأخرى، فقد انصبّت حول مواضيع التحديث والعصرنة. وحذر العرب بشكل خاص من السماح للمادّية بإغرائهم والابتعاد بهم عن الجوهر الخلقي والمعنوي لثقافتهم وتقاليدهم. وفي الوقت الذي حذّر فيه العرب من خطر ضيق الأفق والتعصّب الأعمى نبّههم إلى ضرورة خلق مجتمعات تعدّديّة منفتحة لا مكان فيها للتعصّب الديني أو العرقي. وكتب في إحدى مقالاته في هذا المجال ما يلي:

إنّكم، وإن استغوتكم السياسة واستهوتكم الأحزاب، لمن وطن واحد حسناته ذكاء ابنائه، ورأس آفاته تفرّد أبنائه. أريد بالتفرّد النزوع إلى التفريق، أو بالحري إلى العصبية، قوميّة كانت أم طائفيّة، جبلية كانت أم إقليميّة... ما زالت النعرات الطائفيّة حيّة فينا قويّة، ظاهرة كانت أم خفيّة. وهذه في نظري علّة العلل. فلا الوصاية ولا الاحتلال، ولا الضمّ ولا الانفصال، ولا الحرّية والاستقلال كبير نفع اليوم إذا كنّا لا ننهض على النزاعات الطائفية والنعرات الدينية فنقتلها وننزع، في الأقل، غدد السمّ منها. ونزع غدد السم هو طرد الطائفية من ميدان السياسة. نزع غُدَد السم هو الطلاق التام بين الوطنية والدين

دعا الريحاني إلى تقييم متوازن للغرب، وعرّف القارئ العربيّ بالتراث الشعري الأميركي الغني، والرؤية المؤكّدة للروحانيّة التي عبر عنها دعاة المذهب المعروف بالإنجليزيّة بكلمة Transcendentalism والقائل بأن الحقائق يمكن أن تعرف عن طريق التفكير المجرّد أو التأمّل، عن طريق الذكر التعبّدي والتأمّلات الباطنيّة. فكان من هؤلاء هنري دافيد ثورو) الف والدو إيمرسون (١٨٠٣-١٨٨٢) ووالت ويتمان (١٨٠٢-١٨٤٨. وقد تأثّر الريحاني تأثّرًا شديدًا بكتابين لواشنطن إيرفنغ (١٧٨٣-١٨٥٩)، الأوّل بعنوان "الحمراء" والثاني بعنوان "حياة محمّد." وجهد الريحاني في تعريف كل من الثقافتين بأفضل وأنبل ما في الأخرى من عناصر مؤملا في إيجاد نقطة التقاء ووحدة بينهما واكتشاف القاعدة الروحيّة التي تنتمي إليها كل من الثقافتين. وآمن فعلا بأن البشريّة تستطيع بهذا الأسلوب وحدة مواجهة التحدّيات الروحيّة والماديّة للعصر الحديث، وكتب في إحدى مقالاته بالعربيّة ما يلي:

حبّذا الشرقيّون والغربيّون لو اخذ بعضهم عن بعض مما هو جميل في أديانهم، صحيح في عاداتهم، سام في فنونهم، عادلٌ في أحكامهم وشرائعهم، سليمٌ في أخلاقهم. إن خلاصة الصحيح السليم من ثقافة الشرق والغرب ممزوجة موحّدة إنما هَي الدواء الوحيد لأمراض هذا الزمان الدينيّة والاجتماعية والسياسية فالغربيّ عندئذ يعود إلى الله، والشرقي يرفع عن الله بعض أثقاله.١١

تراسل الريحاني كثيرًا مع القيادات والشخصيّات الدينيّة والرسميّة في كل بلدان الشرق الأوسط والعالم العربي منبّهًا إلى الإصلاحات والسياسات التي من شأنها أن تؤدّي إلى تطوّر مجتمعاتهم وتقدّمها، فكتب إلى أعضاء الحكومة السوريّة في عام ١٩٢٨ قائلاً: إنّي أرى أن الحكم الجمهوري هو خير الأحكام لهذه البلاد. والحكم الجمهوريّ لا يكون حقًا جمهوريًا إلا إذا تجرّد رسميًا من كل صبغة دينية. قد يكون للملكية دين رسمي يمثل بشخص الملك ومن يخلفه من أسرته، ولكن الجمهورية التي يتغيّر رئيسها كل بضع سنين لا يجوز أن يكون لها دين رسمي. إنما الوطن دين الجمهورية. أجل، إن ركن الجمهورية الأول والأوطد هو أن الدين لله والوطن للجميع... أستحلفكم بالله أن تبقوا الأديان خارج المجلس التأسيسيّ، خارج الدستور، وخارج الحكومة.١٢

في عام ١٩٢٤ خاطب الريحاني صديقه القديم المسلم الذي كان يكنّ له كل الاحترام، الشيخ عبد القادر المغربي، بهذه العبارات:

الفرق بيني وبينك، أيها الصديق، هو أنك تعتقد بالوحي المنزل التام الشامل، المنزه عن الأغلاط البشريّة كلّها، الصالح لكل جيل، وكلّ زمان، وأنا لا أعتقد غير نوع من الوحي الإلهي الذي يشترك فيه الأنبياء والشعراء الكبار. فهو متقطّع متنوّع في كمّيّته وكيفيّته. منه ما يصلح لكل جيل وكل مكان وكل زمان، ومنه ما لا يصلح إلا لجيل مخصوص وزمان مخصوص ومكان مخصوص، فإذا ما أتمّ وظيفته فيها أمسى بعدها كالآلة الكهربائية أو البخارية التي انقطع الاتصال بينها وبين (الموتور) أي الآلة المحركة لها. لكل أجل كتاب. والكتب المقدّسة كلها، أقول كلّها، واحد في نظري...١٣

تناول الآخرون من أبناء المدرسة اللبنانية الأميركية باسهاب أيضًا المشاكل التي تنشأ عندما يسيّس الدين ويصبح قوة في تصريف الشؤون العالمية. فقد كتب زميل الريحاني، ميخائيل نعيمة، مقالة تعريفيّة مضيئة عن نهضة المسيحية والمصير الذي آل إليه الدين بعد أن اعتنقه قسطنطين الكبير ما يلي: فالمسيحيّون الذين عاشوا خلال ثلاثة قرون أقلّيّة متآخية، متضامنة على السرّاء والضرّاء، متمسّكة بالسلم، منكرة على السيف أن يكون حكما بين الناس ومضطهدة لذلك من ذوي السلطان في الأرض، عادت في عهد الإمبراطور قسطنطين الكبير فباعت إنجيلها بصك يحميها من الاضطهاد، ويضمن لها أن تصبح دين الدولة الرسمي إذا هي أمرت أتباعها بالقتال تحت راية الدولة، وبذلك تنازلت عن تعاليم مؤسّسها حيث يقول "أحبّوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى الذين يسيئون إليكم".

وهكذا مشى المسيحيّون في جيوش أكبر دولة مستعمرة عرفها التاريخ القديم، فجعلوا من مسيحهم إمبراطورًا وهو القائل "مملكتي ليست من هذا العالم"، ووضعوا على رأسه تاجًا وهو ما تكلل بغير الشوك.

فباتوا ودينهم دين في أعناقهم وشاهد عليهم في الأرض والسماء. وما المدنية التي شادوها، على كلّ ما فيها من روعة للعقل والعين والأذن، بدافعة عنهم جزاء خيانتهم لمسيحهم.

إشترك الريحاني وجبران في التعبير عن هذه المشاعر، فجاء نقدهم للدين الرسمي المؤسسي شديدًا لاذعًا. وبلغت وحدة الرؤية عند جبران والريحاني في المناداة باختطاط طريق للتغيير بدءًا بأقرب المسالك وكذلك أعمق المستويات في داخل النفس، وبروح من وحدة الفرد مع الكل. إنها وحدة الروح القائمة أساسًا على المحبّة والإيمان دينًا يعتنقه الجميع دون فوارق

ولعل أروع إنجاز للريحاني في هذا المجال أنّه استطاع أن يستهدف بنقده مفسدي الدين، مسيحيّين كانوا أم مسلمين. وفعل ذلك ببراعة وكياسة مبطّنتين، فجاء نقده قويًا وفاعلا أكثر جدًا ممّا لو كان هجوما سافرا، فهو لم يفرق بين "القلنسوة" و "العمامة"، إذ خاطب المسيحيّين والمسلمين بنفس اللهجة والأسلوب مطالبا الطرفين بخلق الألفة والتفاهم وتقبّل كل منهما الآخر، ومذكرًا أبناء وطنه المسلمين بأن دينهم كان كدينه بحاجة ماسّة إلى الإصلاح. وكان هذا نهجًا ظاهرًا وتيّارًا خفيًا في آن معًا في كل ما كتب الريحاني، خاصة في كتابه "ملوك العرب" وفي كثيرٍ من مقالاته ورسائله.

تحدّث الريحاني في إحدى مقالاته التي كتبها بالعربية عما شعر به الأنبياء والرسل من يأس وقنوط، وما انتابه هو شخصيًا من يأس وهو يشهد فساد الدين وانحلاله، فكتب:... ووقف الأنبياء في ربيع اليأس فصرخوا من أعماق قلوبهم قائلين: سمع الإنسان كلمة الله وظل عتيّا. وآمن الإنسان وظل ضالاً. ومشى الإنسان على الاثنين وهو لا يزال في كثير من صفاته مثل ذوي الأربع. علّمناه التوحيد وهو لا يزال يقول: عيسى ومحمد وبوذا وزردشت. علمناه المحبّة وهو لا يزال يصنع المدافع والقنابل والبارود. علّمناه الرحمة والعدل وهو لا يزال، في سبيل شهواته، يطأ بقدميه القلوب الدامية.

لم يكن الشرق ولا الغرب في تفكير الريحاني قادرًا على ادعاء البراءة من تهمة إفساد الدين لغايات ماديّة، إذ يقول:

لله منَ ظُلم يُبعث في حكومات العالم الحرة! لله من تعصّب يتجدد في أديان الأمم المتمدّنة! لله من شعوب تنفر إلى الماضي.

أروع إنجاز للريحاني في هذا المجال أنّه استطاع أن يستهدف بنقده مفسدي الدين، مسيحيّين كانوا أم مسلمين. وفعل ذلك ببراعة وكياسة مبطّنتين، فجاء نقده قويًا وفاعلا أكثر جدًا ممّا لو كان هجوما سافرا

سهيل بشروئي
خاص لمركز دمشق للدراسات النظرية والحقوق المدنية

الريحاني في النجف

قصد الاستاذ الريحاني قبل ان يبارح بغداد الى كربلاء المشرفة والنجف الاشرف من الاماكن المقدسة والحلة الفيحاء، وقد بقي في كربلاء المشرفة ست وثلاثين ساعة وحل ضيفا كريما في دار مصطفى خان آل نظام العلماء زاده وهو من اكبر بيوت كربلاء فاكرم اكراما لامزيد عليه، وبعد ورودها بساعات تلاقى مع حضرة العلامة الشيخ علي الشيخ محمد رضا آل كاشف الغطاء النجفي وولده العلامة الطائر الصيت الشيخ محمد حسين اللذين جاءا كربلاء زائرين فاحتفيا به كل الاحتفاء،

وقد طلبا اليه ان يكون ضيفهما في النجف الاشرف ويبقى فيها اياما ريثما يرجع العلماء من كربلاء الى النجف بعد فراغهم من الزيارة ليقوموا بالاحتفالات اللائقة بشأنه فاعتذر اليهما عن ذلك بضيق وقته.

وفي صباح الخميس وهو يوم زيارة الاربعين او مرد رأس الحسين (ع) حضر الاستاذ الريحاني مركز بلدية كربلاء للاشراف على سير مواكب المآتم التي اشترك في اقامتها الشيعة على اختلاف طبقاتهم لتمثيل تلك المأساة العظيمة، وقد صور الاستاذ الريحاني ماأراد تصويره من تلك المشاهد الرائعة بكل تمكين واحترام، كما ان المتضلعين من تاريخ الواقعة وكيفية ترتيبها كانوا يتسابقون الى اجابة اسئلته في هذا الباب وفق المطلوب وبكمال الاعتناء.

وتعرف هناك بكثير من الرؤساء والزعماء والعلماء بينهم حضرة العالم الفاضل الشيخ محمد حسن ابي المحاسن الذي ارتجل عند ملاقاته البيتين الاتيين:

يامن رأى خلق الامين وفضله
حدث عن الازهار والريحان
قد شاهدت عيناي عند لقائه
انسان عين فضيلة الانسان

وقد زاره ليلة الجمعة في بيت مضيفه جماعة من العلماء والسادات والاشراف من اهل كربلاء والنجف والحلة منهم غير من ذكرنا من الشيوخ الشيخ عبدالرحيم السوداني والسيد عباس الرفيعي خازن الروضة الحيدرية المقدسة والحاج محسن شلاش ورؤوف افندي رئيس بلدية الحلة ومحمد رؤوف جلبي الجوهر وغيرهم ممن لا يسع حصرهم وطلب شيوخ النجف الاشرف اليه ثانية ان يقيم في النجف بضعة ايام ريثما يتمكنون من العودة الى النجف ليتوفقوا الى اكرامه والاحتفال به فاعتذر اليهم كذلك بضيق وقته.

وقد جرت بين الريحاني وهؤلاء العلماء مباحث علمية وعمرانية دقيقة ظهر فيها الاستاذ الريحاني في مظهر اعجاب الحاضرين لسعة علمه وحرية افكاره.

وفي صباح الجمعة توجه الى النجف الاشرف فوردها ليلا وبات في جسر الكوفة لنزهة المكان وعند الصباح قصد النجف وصور مدينتها ومقابرها والباب الكبير من جامع الامام علي (ع) وداخل مدرسة السيد كاظم اليزدي، ثم تجول في البلدة ودخل احد سراديب دورها المشهورة بالعمق، ولاقى فيها العالم المفضال الشيخ محمد رضا الشبيبي والعالم الفاضل الشيخ محمد السماوي قاضي الجعفرية هناك والعالم الفاضل الشيخ محمد جواد الجزائري وغيرهم من الفضلاء، وقد عابته الشيخ على عدم اخباره بتوجهه الى النجف ليستقبله النجفيون باحتفال كما انه طلب اليه والح عليه بان يمكث عندهم ولو يومين ليقيم له النجفيون الاحتفالات العلمية والادبية الجديرة بشأنه وشأن النجفيين انفسهم فاعتذر اليه الاستاذ الريحاني عن ذلك.

وقد اهدى اليه الشيخ الشبيبي مخطوطا قديما جدا الا وهو (كتاب المثالب) لابن الكلبي من نوادر المخطوطات العربية.

وغادر الريحاني النجف قبل الظهر بساعة قاصدا الحلة الفيحاء وقد لاقى في هذه المدينة من الاكرام مالايقل عما لاقاه في كربلاء والنجف.

جريدة الاوقات ايلول ١٩٢٢

وقد خاطبه الشاعر النجفي الرقيق والاديب الفاضل الشيخ محمد مهدي الجواهري بالقصيدة التالية:

أمين الريحاني
تحية الاستاذ.. توحيد القبائل، انصف شكية شاعر..
ماذا نويت.. قل ان سألت..

لمن المحافل جمة الوفاد
جل المقام بها عن الانشاد
من زان صدر المجلس الاعلى وقد
طفح الجلال بحيث فاض النادي
من صاحب السمة التي دلت على
ادب الحضارة في جمال البادي
يانجل سوريا وتلك مزية
شهدت لها بمهارة الاولاد
في كل يوم للمجاميع رنة
لك من نيويورك الى بغداد
ماقدر هذا الاحتفال وانما
كل الزمان محافل ونوادي
تعداد مجد المرء منقصة اذا
فاقت مزاياه عن التعداد
ياكاشف الاثار زود اهلها
وكفت بذورك عندهم من زاد
رجاك بالامم الضعاف هوت بها
احن فمد لها يد الاسعاد
واشفق على تلك الجوانح انها
حنيت اضاعلها على الاحقاد
وحد بدعوتك القبائل تهتدي
عن غيها ولكل شعب هادي
اقرأ على مصر السلام وقل لها
حيت رباك روائح وغوادي
لاتوحشي دار الرشيد فانها
وقف على الابراق والارعاد
وتصافحي بيد الاخاء فهذه
كف العراق تمد جبل وداد
لا تخدعنك حلية موهومة
ما اشبه الاطواق بالاقياد
ان كان عهد فهو نقض عهودنا
او صح وعد فهو للميعاد
ما انصفوا التاريخ وهو صحائف
غر نواصع لفعت بسواد
أمثّقف القلم الذي آلى على
ان ليس ترجح كفة استعباد
ومشيدا للشرق ركنا يلتحي
منه بامنع ذمة وعماد
انصف شكية شاعر قد حلقت
بالصبر منه فضائع الانكاد
اني سمعت وما سمعت بمثله
نبأ يرن على مدى الآماد
سوْرية ام النوابغ تغتدي
هدف العداة فريسة الاوغاد
تضحي على البلوى كما تمسي وقد
خفت الزئير بها من الآساد
لم تكفها آراؤك الظلم التي
غشيت ولم تهمم بقدح زناد
اكذا يكون على الوداد جزاؤها
ام لست من ابنائها الامجاد

عالم أمين الريحاني

هذا اللقاءَ أتاح لنا أن نلقي حولنا النظر الى عالمنا الحديث وما فيه من أفكار ومبادئ تُوحّد بيننا جميعاً، وتَجعل دُنيانا ألطف وأجمل، وتبرّر وجود الإنسان على وجه الأرض، وفيّ طليعتها الفنّ، ومنه الشّعر والموسيقى أو (كما يقول العرب) "موسيقى الشّعر".

المستشرقة الروسية ماريا نيكولاييفا

ولكن، هل يسمع هذه الموسيقى أبناءُ الألفية الثالثة الواقعة أمام أزمات حضارية حادةٍ؟ ألا نراها تلتفت صوب الشرق باحثةً عن قيم فكرية وأخلاقية محفوظة لديه ومُحرَّمة في ديارها؟ إن الشرق ما زال يُغْني شجرة الحضارة الإنسانية بعلمائه وفلاسفته، بأدبائه وفنانيه. فالشرق كان، ولا يزال، حيّاً في تقاليد الحكمة الروحية والتأمّل الفلسفي العميق،

حاجزاً دون تأثير المحاولات الدائمة للقضاء على كل خير وعدل وجمال، وهي مُحاولاتٌ عبثية متتابعة لإقامة السيطرة العالمية وإبادة الفكرة الإلهية من نفوس البشر.

أمام هذه التهديدات حرص عباقرة الشرق على وفائهم لحقائق خالدة تتطابق والحياة بوصفها حركة دائمة لطلوع الشمس المتنقلة من اللاوجود (والعدم) إلى الحياة، وتشرق حتى تنير، وتغرب كي تعطي الناس هدوء الروح وراحة النفس من انتظار الشروق الجديد.

هكذا نرى لبنان بتاريخه العريق ومُثُله الروحية وفنانيه العباقرة، منطقة جَمال وأبدية فريدة من نوعها، نعرف عنها نَحن الروس من أحلامنا القديمة عن قهر الشر في هذه الدنيا وعن انتصار الخير والعدل الأعلى. فمبدعو لبنان وروسيا تشرّبوا تقاليد الجمال ومُثلاً أخلاقية مشتركة عبر آلاف السنين. وهذا المنبع المشترك هو الذي يجعلنا نعجب ونتعاطف روحياً مع جمال العمارة والزخرفة العربية وحركات الرقص الشرق الرقيق وتشكيلات الخطوط العربية وصوت الموسيقى وأبيات شعرائه.

ضمن هذا الإطار يمكننا النظر إلى إبداع ابن لبنان الكبير ومعلّم الإنسانية أمين الريحاني الذي عبّر عن حقائق لبنان والعالم كله في مؤلّفاته الأدبية.

هذا العبقريُّ الذي قال عن نفسه: "أنا الشرق"، اختصر في اسمه الشرق حين كتب عنه بالعبقرية نفسها التي يعبّر بها عن روحه من آيات القرآن والإنجيل وبشارات الكتاب المقدس.

هذا هو الشرق. وهذا هو عالم الريحاني. ولكن ما هي صورة هذا العالم اليوم؟ تكاد تكون بعيدة عن الحقيقة في معظم الأحوال. وبات من النادر أن نسمع اليوم صوت شاعر يلقي قصيدته، أو نصغي الى موسيقيّ يعزف الكمان، أو نتمتّع بزغاريد بلبلٍ يغني لرياح الربيع. لم نعد نرى اليوم إلاّ العزاء وكوابيس القهر، إلا البكاء والجرائم!

"أنا الشرق... عندي فلسفات، عندي أديان، فمن يبيعني بهما الطيران"؟ كلام عبقري لا نزال نَرتعش من حقيقته اليوم، في مطلع القرن الحادي والعشرين.

أول مقطوعة عربية حفظناها خلال دراسة اللغة العربية في جامعة موسكو الدولية (لومونوزوف) كانت من أمين الريحاني:

"أنا المسافر من بيروت إلى الشام، أَمُرُّ في طريقي بهذه القرى المنتشرة على جانبي الطريق من الجبال". وواصلنا بعدها، طلاباً، قراءة تلك التُحف من الأدب العربي بفضل أساتذتنا الجامعيين. أما القراء الروس فعرفوه من كتابات المستشرقين والمترجمين.

أول ذكْر للريحاني في روسيا ظهر في مطلع القرن الماضي مع المستشرق إيغناتيج كراتكوفسكي الذي كانت له مراسلات مع أدباء من لبنان، وكتب عن لقاءاته معهم في كتابه "مع المخطوطات العربية" (صدر في لينينغراد أيام الحرب العالمية الأولى). وجاء ذكْر الريحاني الرائد كذلك في كتاب آغافانجيل كريمسكي "تاريخ الأدب العربي الحديث" (موسكو، خمسينات القرن الماضي). بعد تلك الأبحاث صدرت أول ترجمة الى الروسية لرواية الريحاني "خارج الحريم"، وضعتْها الباحثة (من لينينغراد) آنا دولينينا سنة ١٩٨٨.

أما عالم فلسفة الريحاني العميق، فظهر في مركز الدراسات التابع لمعهد الاستشراق لدى أكاديمية العلوم في الاتحاد السوفيتي مع الباحث زْلمان ليفين في كتابه "فيلسوف من الفريكة" (١٩٦٥)، وأعطى القارئ الروسي صورة الريحاني فيلسوف الطبيعة البارز والمدافع عن العدالة الاجتماعية.

أنا عربي شرقي ثوري

من خلال تلك الأبحاث عرف القارئ الروسي أمين الريحاني ثورياً، أيام كانت مفاهيم "الثورة" مستحَبَّةً في بلادنا، فتابعْنا ثورة الريحاني في ما أجازه من إصلاحات جذرية في الأسلوب (النص، السّرد الأدبي،...)، وفي إسهامه بإدخال الأشكال الشعرية الجديدة (كالذي نسمّيه "الشعر المنثور")، وفي سائر العملية الأدبية التي انتشرت في عالم عربي متجدِّد متحَرِّر من قيود التقاليد الماضية الروحيّة والاجتماعية والفكرية.

في كتاب زْلمان ليفين، وسواه من المستشرقين، وجدنا الريحاني فيلسوفاً ومثقفاً يبحث عن إمكانات التفاهم بين التقاليد والأفكار والأديان المختلفة في القرن العشرين. ووجدنا نقده الإيديولوجيا الفردية التي طلع بها الفيلسوف الألماني نيتشه، بينما الريحاني سعى إلى مبادئ أخلاقية جديدة تقوم على "حُسن التفاهم بين الشعوب والمجتمعات والتقاليد الثقافية والسياسية".

وتعلّمنا من الريحاني فنّ إيجاد التوازن بين القومية والأمَمية، بين الشرق المتركز من داخله والغرب العملي الحديث. كما تعلّمنا من الريحاني احترام الآخر: "أنا عربي لا يكره الأتراك، والشرق لا يكره الغرب، وثوريٌّ مهتم بالكعبة مثلما هو يهتم بالدستور". ولعل الريحاني كان أول مثقف قدّم للعالم فكرة "وحدة المجتمع اللبناني" أيام لم يكن هناك دولة اسمها لبنان: "نحن ثلاثة ملايين، منها مليون في الخارج. فماذا يَحل بنا لو نكون منقسمين إلى عشرات الطوائف الدينية"؟

وعرّفنا الريحاني، نحن في روسيا، مواطناً للعالم كله، من حديثه الى صحافي في "المجلة المصرية" (١٩٣٨)، وفيه جاء: "أنا ساميّ وآريّ، سريانيّ وفارسيّ، يونانيّ وعربيّ، أنظر الى تاريخ وطني وثقافته الغربية والشرقية في آن واحد من جميع المجالات الشعرية والفلسفية والعلمية والعملية والاجتماعية".

تلك كانت، عندنا، صورة شخصية أمين الريحاني- فيلسوف الفريكة- المؤسس الروحي للمدرسة الأدبية الأولى في العالم العربي الحديث، والمفكّر الباحث عن وحدة الإنسانية.

في أواخر القرن الماضي تعرّفنا الى وجه الريحاني الجديد- وجه الشاعر، بفضل أحد أحسن المترجمين الروس فلاديمير فولوساتوف. وقام مستعربون روس بترجمة أعمال كثيرة من الأدب اللبناني: "كُهان الهيكل" لجورج حنا، "طواحين بيروت" لتوفيق يوسف عواد، أعمال ميخائيل نعيمه، وسواهم. وكانت ترجمة النثر سائدة، أما الشعر فلزمَها متمكّن قدير مثل فلاديمير فولوسآتوف حتى ينقل المناخ الجديد الى الثقافة الروسية (وهو ترجم أيضاً من شعر المتنبي وكتابات جبران). وفضله أنه نقل من العربية مباشرةً بدون وسيط وبدون أن يسرد شكلاً جديداً للنص يُبْعِدُهُ عن طبيعته الأصلية. من هنا أنّ النص الروسي جاء نصَّ شاعر لا نصَّ مترجم، لذا له الفضل الأكبر في إدخال شعر الريحاني الى الأدب الروسي والثقافة الروسية.

ثم صدرت ترجمات أخرى لشعر الريحاني في روسيا الحديثة (٢٠٠٧ في منشورات جامعة الصداقة المعروفة باسم "باتريس لومومبا") أصدرها المترجم على حسابه الخاص (في ٥٠٠ نسخة)، وجاءت خصوصية الكتاب في نشره النصوص باللغتين الروسية والعربية معاً، ثم صدرت تلك النصوص، في اللغتين كذلك، ضمن الكتاب المعتمَد في جامعة موسكو للّغات (موريس توروس).

في كتاب "صدى جبل لبنان" الصادر في موسكو بالعربية والروسية معاً، جاء أن نصوص الأدب في لبنان، بفضل كتّابها الذين وجّهوا كتاباتهم للإنسانية جمعاء، أضافت ألواناً جديدة في فضاء الكينونة الإنسانية وبحثها الدائم عن حقائق الأبدية والتمتع بلذّة المعرفة والجمال.

غير أن فرادة الريحاني عندنا في روسيا لا تقتصر على مؤلفاته في الروسية وحسب، بل تمتد الى استلهام الريحاني في الفنّ والموسيقى الحديثة، منها إعجاب المؤلّف الموسيقي المعاصر فيكتور أوليانيش (من أكاديمية "غْنيسّين") بأبيات الشعر المنثور لأمين الريحاني كما قرأها في ترجمة فولوسّاتوف، فوضع متتالية "فانتازيا" من وحي ذاك الجمال الشعري.

وخلال تشرين الثاني ٢٠٠٦ (في متحف سْكْريابين) وحزيران ٢٠٠٧ (في محترف النَحاتة لاريسا غولومبكينا) كانت أمسيتان موسيقيتان لقراءات من مقطوعة الريحاني "بلبل ورياح" (بالروسية والعربية) على أنغام "فانتازيا" مع الكمان والهارب والناي ومع البيانو الذي أدت مقطوعاته العازفة الشابة يوليا دراغندا (حفيدة المترجم فولوساتوف).

ونأمل أن تتعمَّم هذه الظاهرة، حتى تدخُلَ الفنون جميعاً في إطار عالم الريحاني الشعري والروحي والإنساني لا في روسيا وحسب بل في كل العالم.

×) المداخلة التي ألقتْها المستشرقة الروسية ماريا نيكولاييفا بدعوة من "مركز التراث اللبناني" في الجامعة اللبنانية الأميركية.

بيروت..

ترجمة عباس عزيز

بيت الريحاني في لبنان

جاء امين الريحاني الى بغداد في ١٨ ايلول ١٩٢٢ واحتفل به فضلاء بغداد وقد اقام له المعهد العلمي حفلة تكريمية تبارى بها شعراء بغداد وخطبائها في فضله على الادب، وفي ختام الحفلة القى الريحاني خطاباً بعنوان (رفيقتي) وتكلم في كلمته هذه عن الحرية الي وصفها برفيقته ثم اقام له الحزب الحر العراقي الذي يرأسه السيد محمود النقيب نجل السيد عبد الرحمن النقيب رئيس الوزراء حفلة القى فيها الريحاني كلمة بعنوان (رب العراق) وفي هذا الاحتفال القى الاستاذ جميل صدقي الزهاوي قصيدة عصماء قال في مطلعها: حييت من زائر قد جاء مندفعاً يسير منخفضاً طوراً ومرتفعاً لقد تمرد من اوراقه الشجر في الغيظ فاليوم لا ظل ولا ثمر وقد بالغ العراقيون في مدح الريحاني والثناء عليه فقال سلمان الشيخ داود في الريحاني:

الريحاني والملك فيصل الاول

د. علياء محمد

ان العاصفة التي اخذت تثور في ارجاء بلاد العرب سوف تكسر قيود التقاليد القديمة وتحطم سلاسل الاستعباد والاضطهاد وسنرى متى سكنت ان كلمات الريحاني من اكبر عوامل اثارتها وهاهو اليوم يطوف بلاد العرب ليحقق بنفسه قرب الساعة التي ينشدها وما الاحتفال العظيم الذي لاقاه الا مظهراً من مظاهر انتشار ديمومته في هذه الاقطار) وقال روفائيل بطي: وعندي ان اولادنا سيفهمون الريحاني اكثر مما نفهمه نحن اليوم وقال ايضا وجدت في مجلس امين الريحاني ما لم اعثر عليه في كتبه ومؤلفاته وفعلت في نظراته اعظم مما فعلته خواطره الفلسفية وهزني صوته اكثر مما هزتني قصيدته (فؤاد) ففي مجلسه اي الاتضاح واللطف وفي عينيه العاطفة المتقدة وفي صوته الحنان المجسم. وقال عطا امين بك: سئل الفيلسوف الكبير (ارنست رنان) لماذا كتب الذي كتبه والذي اقامت عليه قيامة فئة غير قليلة من الناس فقال: طلبا للحقيقة وتلذذا باحيائها واذاعتها بين الخافقين واني لا اعتقد بان ناقل فاجعة هياسيا العذراء بتلك العبارات المملوءة حنانا وتألما وخروجا على الظلم والتعصب لم يقصد بثورته الادبية الكبرى ضد النظم البالية والتقاليد الباطلة سوى الحقيقة المجردة البيضاء الناصعة التي بانتشارها يسود العقل وتنتصر الفضيلة ويصبح الحكم يومئذ للحق. اما حسن غصيبة فقال في الريحاني: قيل للدكتور شبلي شميل ان بلية الناس في هذا الشرق بك لعظيمة لأنك تخالفهم في مبادئهم ومعتقداتهم فأجاب: ان بليتي بالناس لاعظم لأنهم يخالفون ارائي وافكاري اذ انهم كثيرون وانا الوحيد فمن حسن حظ الشرق والريحاني معاً ان هوة الخلاف بين امم الشرق وبين المفكرين قد امتلأت فلا الريحاني بلية على الشرق ولا الشرق بلية على الريحاني ولهذا فان مبادئ الريحاني ستنمو بسرعة نمو بذور صادفت تربة خصبة ومناخاً مو افقاً وسيكون الريحاني علم القرن العشرين تاريخ الاجيال العربية المقبلة. كما دعاه الملك فيصل الاول دعوات عدة تكريما له لمعرفة سابقة بينهما واشار الريحاني الى بعض هذه الدعوات وذكر ما دار فيها من احاديث ومن ذلك قال: دعيت الى مأدبة اعدها الملك في القصر وقد جلسنا في صفين متقابلين عشرون من كبار موظفي الحكومة العراقية والوجهاء وعشرون من رجال حكومة الانتداب وبعض نسائهم وكان الملك فيصل في الوسط والى يمينه زوجة المندوب السامي الليدي كوكس والى يساره القائد العام للجيش البريطاني في العراق. وكان قبال الملك فيصل اخوه الامير زيد والى يمين الامير المندوب السامي والى يساره بقية النساء في العراق وشمعة سياسته الخاتون (جرترو بل) وكان بيني وبين المندوب السامي سيدة انكليزية وقبالي سيدة اخرى فعلمت من الواحدة انها حزينة جدا لانها تحب الموسيقى ولا تستطيع ان تقتني بيانو في بغداد واخبرتني الاخرى بان زوجها وهو احد المستشارين لاتهمه الازياء ولاقراءة الروايات وكان القائد العام يحدث جارته بما صدر حديثاً من الروايات في لندن ثم سمعت السربرسي كوكس وهو من هواة الصيد وله المام بعلم الحيوان يسأل عن اسماء انواع الطيور اما جلالة الملك فيصل فكان اثناء المأدبة منذ قدم الحساء الى ان جاء الخدم بالقهوة صورة من صور اليأس المحزنة وقد احاط نفسه بسيدة لا تحسن العربية وبقائد قاتم الجبين لا يحسن العربية ولا الفرنسية. اما جاري الاخر مجيد بك الشاوي وهو احد الاربعة الذين يكفرونهم في العراق والثلاثة الاخرون هم جميل صدقي الزهاوي ومعروف الرصافي وكاظم الدجيلي) والرجل الوحيد الذي تجاسر ان يلبي الدعوة الملكية في ثوب عادي فلم يكن ليهتم بحديث الخواتين والمستشارين بل كان يحسو الشمبانيا الكأس تلو الكأس ويضحك لنكات جاره سكرتير مجلس الوزراء حسين افنان. كان لمجيد الشاوي فضل على الملك فيصل تلك الليلة لأنه في سلوكه (شفتك والله شفتك) فاجاب الشاوي وهو يشير الي لم ادرك وجه الشبه في ذلك الحين هذا صديقي لانه صديق المعري ونحن يا مولاي لا نعرف غير المعري والخيام فضحك الملك وكانت ضحكته الاولى في تلك الليلة الحافلة. ويذكر الريحاني مأدبة اخرى دعاه اليها الملك فيصل في البساتين خارج بغداد فقال: اني اذكر مأدبة اخرى خارج القصر وخارج المدينة مأدبة ويوماً في البساتين وفي معزل عن الرسميات الغربية هناك في شرقي بغداد على نهر ديالى ناحية بعقوبة وبالقرب من بعقوبة بلدة على شاطئ النهر تدعى (الهويدر) فيها ملاك كريم وفاضل هو فخري ال جميل دعا الملك فيصل وحاشيته لقضاء يوم في ضيافته ودعا ايضا بعض الانكليز منهم المس بيل وكونو اليس مستشار الداخلية والسيد محمود النقيب نجل السيد عبد الرحمن النقيب. نصب السرادق بين اشجار الليمون والرمان وفرش الطريق اليه بالسجاد ومدت الموائد تحت النخيل وكان الهواء مفعما بطيب الرياحين والازهار والطيور تغرد على الافنان والكروم مثقلة بافخر العنب المتعدد الانواع والالوان والمس بيل تروح وتجيء حاملة غصناً من الرمان وعنقودا كبيراً من العنب فتقدمه جاثية لجلالة الملك وجلالة الملك لله من غم يأبى الحصر في القصر فيرافق صاحبه الى البساتين الجميلة لله من غم يجلس فوق العرش ويلصق بصاحب العرش حيثما حل وجال. كانت المس بيل تدرك ذلك فتحاول بما لها من فصاحة ولطافة ان تخفف وطاته وتبدد ضلاله في بساتين ال جميل في ذلك اليوم الجميل ولكنها لم تفلح وقد تكون فيما اسرفت زادت الطين بلة. ثم اضاف امين الريحاني قائلاً: جلس الملك في الخيمة بعد ان جال في البساتين يلعب بسبحته ومن دهاء الملك فيصل وحسن سياسته مع العلماء والشعراء ما حدث له مع الزهاوي

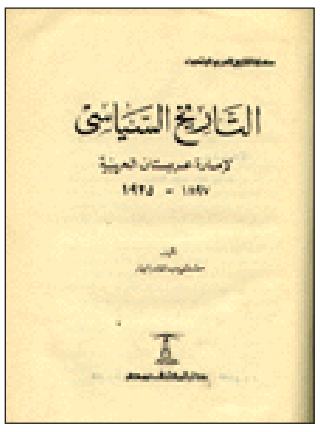

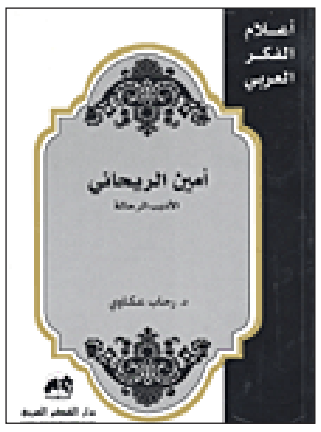

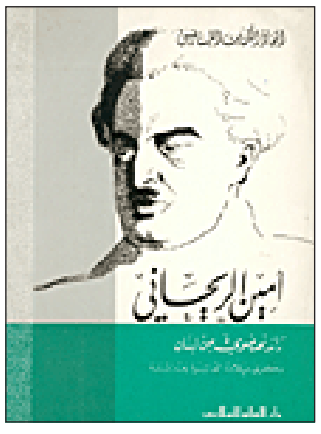

شاعر الفريكة

كاظم الدجيلي

انا نحيي للفريكة شاعرا
رويت قصائده بكل مكان
بتحية طابت شذا فكأنما
هبت نسائمها من الريحان

سيداتي وسادتي!
تحتفل مكتبة السلام اليوم بالاستاذ الريحاني شاعر الفريكة وتحية لجنتها بتحية ازهى من ميعة الشباب والذ من سكره، وابهى من الاقبال بعد الجفاء والشفاء بعد عقم الداء بتحية ابهج من النهر الرقيق ماؤه، المصقولة حصباؤه، المخضرة جنباته، قد نسج على مائه النسيم العليل البليل درعا من الفضة فانساب يمتعج بها في دهس الرمل الى السهل تمعج افعوان يتثنى غير مذعور.
بتحية تحكي الغنى
يحويه محتاج فقير!
او كالفكاك يناله
من بعد ما يأس اسير!
سيداتي سادتي!
الريحاني اديب من ادباء القرن العشرين في الشرق بل في الغرب ايضا، فلا غرو اذا احتفل به اليوم الشرق والغرب معا.
الريحاني شاعر شرقي وفيلسوف غربي، توفرت فيه سرعة الخاطرة واناة الافتكار، اخذ عن الشرقيين شاعريته وعن الغربيين فلسفته، ومزجها مزج الصهباء بالماء فابرزهما للملأ صورة جميلة تسر الناظرين لاشرقية ولا غربية.
الريحاني شرقي تربى في بين الغربيين واكتسب من تعاليمهم فتغيرت مادته ولم تتغير معانيه، فهو شرقي المعنى غربي المادة يعرف الحاذق منه ذلك اذا جالسه او قرأ من قصائده المنثورة او المنظومة فصلا.
نشأ الريحاني في امريكة صغيرا وتعلم فيها كبيرا، فاخذ الحكم من جواهرها والاداب من معادنها، وشب ساعيا وجد محصلا فبرز راموزا للعبقرية والنبوغ تكلم الطبيعة به احياءها قائلة:
ولم اجد الانسان الاّ ابن سعيه
فمن كان اسعى كان بالمجد اجدرا
رأى الريحاني بعد تضلعه من علوم الغربيين وادابهم ان فريقا منهم ينكر على العرب فلسفتهم ولا يعترف باهليتهم للنبوغ ولا بوجود العبقرية فيهم فثارت به النخوة الشرقية والغيرة العربية فترجم رباعيات المعري شاعر الفلاسفة وفيلسوف الشعراء بلغتهم شعرا، وارسلها اليوم مثلا اعلى من امثالهم السائرة، وقولا كاد ينسى اقوالهم المتقدمة، فرأوا فيها شعلة نار بل نور، وحكمة رائعة نظمت قوافيها في سلك بلغ من المتانة والرقة ما لا تبلغه قوى سلك الكهرباء ودقته.
قواف كالكواكب في بروج
يضيء بها اذا جن الظلام!
وتقتصر عن مداها الريح جريا
وتعجز عن مواقعها السهام!
تناهب حسنها حاد وشاد
فحث بها المطايا والمدام!
الريحاني كاتب رقيق الحاشية رشيق الديباجة بديع الاسلوب، اذا كتب اودع كتاباته من الشعر روحه ومعناه ومن النثر مادته وتركيبه، يراعي دائما ما يكتبه المقاصد والمعاني ولايلتفت الى الالفاظ والمباني، فكان كلامه لخفيفي الارواح شعرا ولبطاء الاذهان نثرا.
سعى الريحاني منذ عشرين سنة ونيف وهو وراء البحار وفي اقصى الغرب السعي الحثيث في بث تعاليمه، التي يقصد بها من الشرقيين النزوع الى ترك القديم البالي واكتساب الجديد النامي، الذي يروق العين منظره ويلذ للفم مطعمه وينعش الارواح شميمه وينمى الاجسام غذاؤه فارتاح لتلك التعاليم نبهاء الشرق واكبرها مفكرو الغرب.
الريحاني مصلح اجتماعي ومهذب اخلاقي يدعو الناس جمعاء الى حب الانسانية، وينشر بالسلام على الارض ويحض على انعاش البشرية المتألمة وتخليصها من تعذيب المستبدين وعبث المفسدين.
اذا عد مجددو الادب العربي في القرن العشرين عد الريحاني في طليعتهم اذ هو رسول الفكرة الجديدة القائلة بتبديل اسلوب الشعر القديم بنمط حديث غض يجمع بين سلاسة التركيب وسهولة التعبير، غير مقيد بسجع ولا قافية، ولامحتاج الى تكلف واعتساف، وهذا مايسمونه بالشعر المنثور والمرسل.
انا ان اطره فاني اطري
ادبا وافرا وعلما عبابا
ونهى ينظر الغيوب شهودا
فكان قد كشفت غنها الحجابا
هذه كتبه تدل عليه
ان فيها للسائلين جوابا
يجد الراسخون في العلم فيها
حكمة تبهر العقول صوابا
انشأتها افكاره بيراع
كم وكم حل مشكلات صعابا
في اساليب لاترى قط فيها
حين تتلى اطالة واقتضابا
يفهم السوقة المقاصد منها
وينال الملوك منها الطلابا
ايها الزائر الكريم! اذا عدت الى امريكة بلاد العلم والنور، والحرية والسلام وجلست على شاطئ البحر الاطلانطيكي في غسق الليل المظلم مطالعا بنور علمك مادونته في ذاكرتك من غث الشرق وسمينه فألق على العرب وابنائهم نظرة حكيم محب للانسانية ساع لخير البشرية، لاتجذبه الاهواء ولاتتغلب عليه العواطف، وصف لقروحهم المترهلة مكواة يداوون بها عرهم، ويحرقون بحرارتها جراثيمهم.
لعل قلوبا "طوّل الجهل سقمها" ستظفر منكم بالشفاء وتثلج!
وحييت ايها الزائر الكريم عدد النجم والحصى والرمال!!

مجلة لغة العرب ١٩٢٣

شيء عن أمين الريحاني

باسم عبد الحميد حمودي

هو امين فارس البجاني الريحاني، ولد في مدينة الفريكة في جبل لبنان في ٢٣ تشرين الثاني عام ١٨٧٦ وتوفي في بيروت في ١٣ ايلول ١٩٤٠ اثر سقوطه من دراجة ودفن في بلدته.
درس الريحاني الانكليزية والفرنسية الى جانب العربية والتحق عام ١٨٩٧ بمعهد الحقوق في نيويورك ثم عاد الى بيروت بعد عام نتيجة لمرضه.
في عام ١٨٩٩ رجع الريحاني إلى الولايات المتحدة فاشتغل بالتجارة والادب معا وبدأ في إصدار الكتب وكان أولها (نبذة عن الثورة الفرنسية)، كما ترجم إلى الإنكليزية مختارات من شعر الشاعر أبي العلاء المعري، ومنذ ذلك الحين كرس حياته للكتابة.
وفي سنة ١٩٠٤ عاد الريحاني إلى لبنان مروراً بمصر، فاتصل بأبرز الأدباء والزعماء السياسيين، وباحثهم في أحوال الشرق العربي الاجتماعية والسياسية والفكرية ووسائل النهوض بها، وفي لبنان تابع نشاطه الفكري والاجتماعي العاصف والمتعدد الأوجه، وأصبحت صومعته في قريته (الفريكة) ملتقى عشرات الأدباء من أمثال: محمد كرد علي وبيرو باولي والأخطل الصغير والشيخ مصطفى الغلاييني وغيرهم، كما كان ينتقل من مدينة إلى أخرى يلقي الخطب داعياً إلى الحرية وحاضر في الجامعة الأمريكية في بيروت وفي معاهد أخرى في لبنان وسوريا، وكتب ونشر في المجلات والجرائد العربية والإنكليزية.
وفي سنة ١٩١١ قفل أمين الريحاني راجعاً إلى نيويورك ليطبع كتابه (كتاب خالد)، ومنذ ذلك الحين أصبح يتنقل بين نيويورك وبلدته الفريكة. وأصبح مرموقاً في كل من أمريكا وإنكلترا وكندا، وكذلك في أوروبا والشرق الأدنى والبلاد العربية. وفي الحرب العالمية الأولى كان الريحاني أحد أعضاء (اللجنة السورية. اللبنانية) التي مارست نشاطاً سياسياً ضد السيطرة التركية.
وفي عام ١٩٢٢ انطلق في رحلته الشهيرة، فزار الحجاز وقابل شريف مكة الحسين بن علي، ثم زار (لحج) وقابل سلطانها عبد الكريم فضل ، و(الحواشب) وفيها قابل سلطانها علي بن مانع، وصنعاء حيث التقى إمامها يحيى، ونجداً حيث اجتمع إلى سلطانها عبد العزيز بن سعود، والكويت فزار فيها شيخها أحمد الجابر آل الصباح، والبحرين وفيها اجتمع إلى شيخها أحمد بن عيسى، وأخيراً بغداد حيث قابل الملك فيصل الأول... فكان نتاج هذه الرحلات عدداً كبيراً من كتب الرحلات والتاريخ بالعربية والإنجليزية.
ومن هذه الرحلات نشر امين الريحاني ما كتبه عن بغداد في الصحف العراقية في تلك الفترة ثم طبعت ضمن كتبه عن رحلاته الى البلاد العربية والربع الخالي ومنها ما كتبه عن بغداد طيلة الاعوام ١٩٢٢-١٩٣٢ التي قام الريحاني فيها بزيارتين الى بغداد.

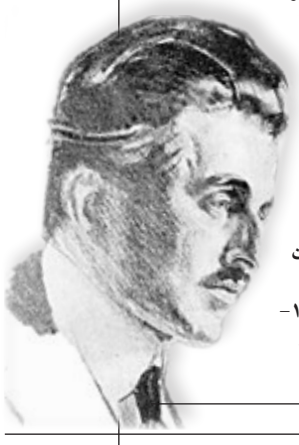

الرصافي

فيصل الاول

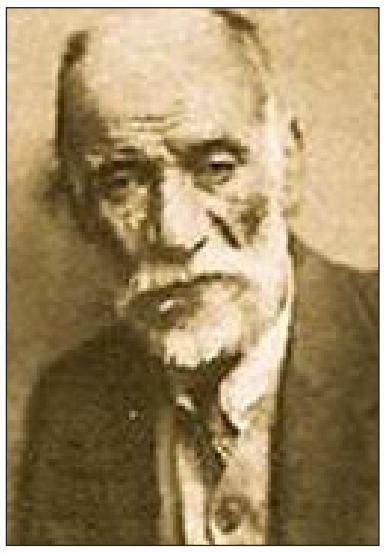

الزهاوي

الريحاني

في اوائل عام ١٩٢٢، قرر الاستاذ امين الريحاني زيارة البلاد العربية والاطلاع على احوالها ومشاهد تطورها، ومهما قيل في (سر) تلك الرحلة الطويلة للريحاني، فان ما خلفته من مصنفات للريحاني، كان لها الاثر الكبير فيما بعد، واصبحت كتب مشاهداته وانطباعاته من الكتب التي لايستغنى عنها في دراسة تاريخ البلاد العربية وتطور نهضتها. زار الريحاني مصر في ٢٧ كانون الثاني ١٩٢٢، ثم زار الحجاز ومن هناك يمم بلاد اليمن ثم توجه الى عدن، وركب عن طريق الخليج العربي الى البصرة، ولم يبق فيها الاّ ساعات حتى سافر الى بغداد عاصمة الدولة العراقية الجديدة،

الريحاني في العراق

رفعة عبدالرزاق محمد

فوصلها صباح الجمعة ٤ أيلول ١٩٢٢، واصبحت زيارته الاولى تلك مناسبة ادبية وسياسية كبيرة، اذ اقيمت له الاحتفالات والمجالس والمحاضرات، وتنافس الكتاب والشعراء في بيان آرائهم وشكاواهم الى الريحاني. وقد كانت زيارته هذه هي الاولى، وكرر الزيارة عام ١٩٣٢، فزار بغداد مدعوا لحضور المعرض الصناعي والزراعي،

وانتجت زيارته الثانية كتابه (قلب العراق) ثم زار العراق عقب انقلاب بكر صدقي سنة ١٩٣٦ ليرى احوال العراق عن كثب بعد الضجة الكبيرة التي اقامتها الصحافة القومية العربية ضد الانقلاب، لكنه لم يلبث ان ترك العراق بسرعة ولم تخلف هذه الزيارة اي اثر كتابي للريحاني، اما زيارته الاولى الكبرى فقد كتب عنها كتابه (فيصل الاول) ضمن موسوعته (ملوك العرب) وضمنها آراء ومشاهدات وطرائف كثيرة، جديرة بالتنويه والتحقيق.

حفلة دار المعلمين

واول حفلة اقيمت للريحاني في بغداد كانت حفلة دار المعلمين في ٧ أيلول ١٩٢٢ اقامها مدير الدار السيد محمد خليل افندي في بهو الدار حضرها وزير المعارف السيد هبة الدين الشهرستاني، ومعاونه الاستاذ ساطع الحصري، ومستشار الوزارة (المستر كلن) والاستاذ معروف الرصافي ومديرو المعارف في الالوية، ونخبة من الادباء في مقدمتهم الاستاذ الشاعر الزهاوي وقد افتتحت الحفلة بكلمة مدير الدار، ثم القى الاستاذ رفائيل بطي محرر جريدة (العراق) كلمة في ترجمة الريحاني واعماله ومؤلفاته ثم اعقبه السيد محمد عبدالحسين مفتش المعارف لمنطقة الفرات بكلمة مناسبة، ثم القى الاستاذ ناجي القشطيني قصيدة عنوانها (حق الحمى) ومطلعها:

لحماك يا انسان حق
لم يكفه حب وصدق

ثم القى الوزير الشهرستاني كلمة قصيرة، وانتهى الحفل بكلمة بليغة للريحاني.

اقيمت حفلة الحزب الحر في مقر الحزب، حضرها عدد كبير من وجوه العاصمة، وقد افتتحها السيد محمود النقيب رئيس الحزب بكلمة ترحيبية

حفلة الحزب الحر

واقيمت حفلة الحزب الحر في مقر الحزب، حضرها عدد كبير من وجوه العاصمة، وقد افتتحها السيد محمود النقيب رئيس الحزب بكلمة ترحيبية، ثم القى الاستاذ الزهاوي كلمة معبرة ثم نهض الاستاذ الرصافي والقى كلمة بالمناسبة، والقى السيد رشيد الهاشمي كلمة (خيالية) ثم نهض الزهاوي ثانية والقى قصيدة تضمنت موضوعات حكمية وفلسفية، حتى قام الاستاذ الريحاني والقى كلمة مناسبة وقصيدة من الشعر المنثور بعنوان (رب العراق).

حفلة المعهد العلمي

وكانت هذه الحفلة من اكبر الحفلات، واقيمت على مسرح السينما الوطني التي زينت بسعف النخيل والاعلام والزهور وحضرها جمع غفير من رجال الفكر والادب والسياسة، وقد افتتحها معتمد المعهد الاستاذ ثابت عبدالنور بكلمة معبرة، اعقبه الشاعر الحاج عبدالحسين الازري فألقى قصيدة، مطلعها:

اشتقاقتك اطلال العراق الدوائر
واثار مجد كلهن مآثر

وفي هذه الحفلة، القى الاستاذ الرصافي قصيدته الشهيرة التي بث فيها شكواه من احوال العراق السياسية، واصبحت هذه القصيدة حديث الناس طيلة العهد الملكي لجرأتها وعنفها في النقد، ومطلعها:

ان العراق بعرضه وبطوله
وبرافدين وباسقات نخيله

ومما قاله في هذه القصيدة الذائعة:

أمين جئت الى العراق لكي ترى
مافيه من غرر العلى وجموله
عفوا فذاك النجم اصبح آفلا
والقوم محتربون بعد افوله
أأمين لاتغضب عليّ فأنني
لا ادعي شيئا بغير دليله
من يرجى للعراق تقدم
وسبيل ممتلكيهغير سبيله
لاخير في وطن يكون السف
عند جبانه والمال عند بخيله
والرأي عند طريدة والعلم عند
غريبه والحكم عند دخيله

ثم انشد فريق من طلاب المدارس

نشيد العراق ، وانتهى الحفل بكلمة قصيرة للريحاني اردفها بقصيدة من الشعر المنثور بعنوان (رفيقتي).. ودعت رئيسة مكتب السلام المس بل (السكرتيرة الشرقية للمندوب السامي) وجهاء بغداد لحضور حفلة تكريم الريحاني في المكتبة نفسها التي اتخذت من احدى قاعات القشلة مكانا لها، وبدأت الحفلة بكلمة للمس بل باللغة الانكليزية ثم القى الشيخ كاظم الدجيلي كلمة في مآثر الريحاني وفضله، ثم قام الاستاذ الزهاوي والقى موشحا بديعا، حتى قام المحتفى به والقى كلمته باللغتين العربية والانكليزية.

حفلة ادباء العراق

وفي يوم الجمعة (٢٧ أيلول ١٩٢٢) اقيمت حفلة ادباء العراق في تكريم الريحاني في (اوتيل عبدالاحد) الواقع في الشارع العام (الرشيد)، وقد افتتحت بكلمة الاستاذ الزهاوي ثم القى رفائيل بطي كلمة استعرض فيه الاساليب السائدة في الادب العراقي الحديث، وبعدها انشد الشيخ كاظم الدجيلي قصيدة ترحيبية، ثم القيت كلمات رشيد الهاشمي وعطاء امين ورفائيل بطي الذي القى قصيدة من الشعر المنثور بإسم (النابغة)، والقى الرصافي قصيدته قبل ان يلقي الزهاوي قصيدته، وعند ختامها القى الريحاني كلمة جميلة. وكما كان متوقعا فان قصيدة الرصافي تضمنت شكوى الشاعر ومعاناته ونكران مواطنية له، وفيها بيته الشهير:

سكنت الخان في بلدي كأني
اخو سفر تقاذفه الدروب

واقامت جمعية منتدى التهذيب حفلتها لتكريم الريحاني، وقد افتتحت بكلمة رفائيل بطي نيابة عن ادارة الجمعية، ثم اعقبه ميخائيل مني رئيس المنتدى بخطبة فلسفية، اعقبها عبدالرحمن البناء بقصيدة بالمناسبة وقصيدة اخرى للاستاذ الرصافي، والقى عبدالجليل رزق الله اوفي خطبة تناسب المقام وفي الختام نهض الريحاني والقى كلمة جميلة، وكانت قصيدة الرصافي بعنوان (تجاه شاعرية الريحاني) ومطلعها:

لعمرك ماكل انكسار له جبر
ولاكل سر يستطلع به الجهر

ومن الجلسات الخاصة، مأدبة اقامها الدكتور صبري بك حضرها لفيف من اصدقائه مثل علي الخضيري وامين الكسباني وعبداللطيف نوري والرصافي وراسم بك مرافق الامير زيد واحمد المناصفي ورزوق غنام. وبعد ايام، ترك الريحاني العاصمة بغداد وسافر الى البصرة فأقام ادباؤها احتفالا كبيرا، القى فيها الشيخ محمد امين باش اعيان كلمة نيابة عن متصرف اللواء احمد باشا الصانع ثم القى احمد حمدي الملا حسين قصيدة والقى القانوني الشاب محمد زكي المحامي كملة، اعقبتها خطبة خلف شوقي الداودي محرر جريدة الاوقات البصرية ثم كلمة عبدالحميد احمد رئيس كتاب محكمة البصرة، وانتهى الحفل بكلمة معبرة للمحتفى به وكلمات رائعة للشيخ محمد امين الشنقيطي مدير مدرسة النجاة في الزبير، وكان الشيخ محمد امين باش اعيان قد اقام مأدبة كبيرة على شرف الريحاني في قصره الكبير في منطقة الصالحية في البصرة.

وطاف الريحاني قبل ان يبارح العراق ببعض مدن الفرات الاوسط وهي كربلاء والنجف والحلة ففي كربلاء حل ضيفا في دار مصطفى خان آل نظام العلماء والتقى الشيخ محمد رضا كاشف الغطاء وابنه الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء، وقد صادف مكوثه في كربلاء مناسبة دينية هي (زيارة الاربعين) فاطلع على عادات الناس فيها وما يطلقونه من هتافات وخطب وقصائد، والتقى في كربلاء عددا من وجهاء مدينة النجف مثل الحاج عبدالمحسن شلاش والسيد عباس الرفيعي وغيرهما، وطلبوا منه ان يقيم في النجف عدة ايام ريثما يعودون الى النجف، وزار النجف فوردها ليلا فبات ليلته في الكوفة وزار النجف صباح اليوم التالي وتجول فيها، والتقى الشيخ محمد رضا الشبيبي الذي اهداه مخطوطة كتاب المثالب لابن الكليبي، كما التقى الشيخ محمد جواد الجزائري وغادر النجف الى الحلة، وفي النجف القى الاستاذ محمد مهدي الجواهري قصيدته في الريحاني ومطلعها:

لمن المحافل جمّة الوفاد
جل المقام بها عن الانشاد

الزيارة الثانية

وزار امين الريحاني العراق ثانية في نيسان ١٩٣٢ لحضور المعرض الصناعي الزراعي الكبير الذي نظمته الحكومة العراقية مع الجمعية الملكية الزراعية، وقد دعته الحكومة العراقية للاطلاع على التطور الحاصل في العراق خلال عشر سنوات (من زيارته الاولى عام ١٩٢٢). وقد اثمرت هذه الزيارة عن كتابه الرائع (قلب العراق)، وقد ضمنه العديد من الاراء والانطباعات الجريئة، ورد عليه عدد من الكتاب العراقيين، كان ابرزهم الاستاذ ابراهيم ادهم الزهاوي، الذي كتب سلسلة مقالات اتهم فيها الريحاني شتى الاتهامات ومنها عمالته للاستعمار الاوربي، ونشر هذه المقالات في مجلة (لسان الهداية) الصادرة عن جمعية الهداية الاسلامية، وانسحبت هذه الازمة الى ايام زيارته الثالثة للعراق بعد سنوات، اذ اصطدم بجفاء من بعض الجهات الثقافية.

الزيارة الثالثة

وعندما وقع الانقلاب العسكري بقيادة بكر صدقي في تشرين الثاني ١٩٣٦ واسقطت وزارة ياسين الهاشمي، بدأت بعض الصحف العربية هجوما واسعا على العراق واتهمت الحكم الجديد بتنصله من الهموم العربية، وفي محاولة للدفاع عن موقف السلطة الجديدة، دعي كبار الكتاب والصحفيين لزيارة العراق والاطلاع على مشاهد عهده الجديد. استجاب الريحاني لدعوة الحكومة العراقية وفي شهر كانون الاول ١٩٣٦ حل ضيفا ببغداد، غير ان بعض الهمس جرى حول الريحاني وماذكره في كتابه (قلب العراق)، وكان للاستاذ محمد مهدي الجواهري وجريدة (الانقلاب) المؤيدة للعهد الجديد، السبق في الهجوم على الريحاني الذي كتب في كتابه المذكور بما لم يرض الجواهري، فكتب الاخير مقاله الشهير (جاسوس خطير في فندق تايكرس بالاس) في جريدة (الانقلاب) ليوم ٩ كانون الاول ١٩٣٦، وقد ذكر لي الاستاذ حسين جميل مدير الدعاية العام آنذاك، انه طلب من شقيقه مكي الجميل، صديق الجواهري ان يسعى لايقاف حملة الجواهري باعتبار (الجاسوس الخطير) ضيف الحكومة العراقية، ويبدو ان مكي الجميل نجح في مسعاه، فتوقف الجواهري عن الهجوم، غير ان الريحاني شعر بأنه ضيف (ثقيل)، فقرر قطع زيارته والعودة الى بيروت على وجه السرعة، ولم يكتب شيئا عن العراق بعد ذلك، وكان ذلك الحادث آخر عهده بالعراق.

تجاه الريحاني

قصيدة الاستاذ معروف الرصافي

ان العراق بعرضه و بطوله ... وبرافديه و باسقات نخيله
يهتز مبتهجا بمقدم ضيفه ... و يبش مبتسما بوجه نزيله
ومرحبا والشكر في ترحيبه ... ومؤهلا والجد في تأهيله
بربيب لبنان بريحانيه ... بكبير معشره بفخر قبيله
بالعبقري بفيلسوف زمانه ... بأديب امته بداهي جيله
باصح احرار الانام تحررا ... في فكره و بفعله و بقيله
انا نبجل منه خير مبجل ... تبجيل كل الفضل في تبجيله
أامين جئت الى العراق لكي ترى ... مافيه من غرر العلى وحجوله
عفواً فذاك النجم اصبح آفلا ... والقوم محتربون بعد افوله
أوما ترى قطر العراق بجسمه ... قد فاق مقفره على مأهوله
انما الحيا فيه فذياك الحيا ... لكن مسيل الماء غير مسيله

ور بيعه ذاك الربيع وان شكا ... من جهل ساكنه اشتداد محوله
فاقم به ولك الغنى بفراته ... عن قطر مصر وعن موارد نيله
وانزل على وادي السلام ممتعاً ... برغيد عيش تحت ظل نخيله
والثم به ثغر الطبيعة باسما ... يشفي من المشتاق حر غليله
وترقبن اسحاره حتى اذا ... هب النسيم فجس نبض عليله
وانظر محاسن ارضه وسمائه ... وانشق اريج شماله وقبوله
فالجو فيه منيرة اوضاحه ... والحسن فيه دقيقه كجليله
والليل فيه مكلل بمرصع ... وكواكب الاكليل من اكليله
وترى النهار به كذهنك واقداً ... بالشمس تشرق في وجوه سهوله
وترى ضياء الشمس فيه مغلفا ... بنظيره ومسلسلا بمثيله
واذا وقفت بدارس من مجده ... فكوقفة الباكين بين طلوله
وانحب كما نحب الحزين مكفكفاً ... غرب الدموع بجانبي منديله
فلقد عفا المجد القديم بارضه ... وعليه جر الدهر ذيل خموله
واذا نظرت الى قلوب رجاله ... فانظر حديد الطرف غير كليله
تجد الرجال قلوبهم شتى الهوى ... مد الشقاق بها حبالة غوله
متناكرين لدى الخطوب تناكراً ... يعيا لسان الشعر عن تمثيله
فالجار ليس بآمن من جاره ... والخل ليس بواثق بخليله
والدين فيه يقول ذو قرآنه ... قولا يحاذر منه ذو انجيله

فتى عشق البلاد العربية وظل طوال حياته يجمع بين الدعوة الى اصلاح كبير للمجتمع وثورة ادبية تعيد للشعر وجهه الحقيقي

التحرير
علي حسين

التصميم
مصطفى محمد

الاشراف اللغوي
محمد السعدي